٢٠٢٢

السعودية..
نحو مملكة جديدة
تقلب صفحة «الصحوة»

كتاب العدد :

موسى برهومة

محمد جميل أحمد

محمد برهومة

صالح سالم

عمر الرداد

عاصف الخالدي

سامح فايز

نوران بديع

موسى برهومة
كاتب أردني

السعودية تتغير.. أين المشكلة؟

من حق المملكة العربية السعودية أن تمضي في خطط الحداثة التي يعتقد أهل السلطة والخبرة أنها الأجدى والأكثر نفعاً والأنسب لخدمة المتطلبات المستقبلية ورهاناتها. ومن حق المملكة أن تسابق الزمن لخلق أرضية للبناءات الشاهقة المقبلة التي لن تشمل العمران وحسب، بل العقل والذاكرة وأنماط التفكير.

ومن حقها أيضاً أن تُرسي قواعد للشفافية والمحاسبة، ومن حقنا على السعودية ألا يحصل ظلم، وأن تُصان كرامات البشر، حتى المتهمين منهم بشبهات فساد، وأن تتم علمية «التطهير» في مناخات قانونية لا إكراه فيها، ولا تصفية حسابات، ولا يجري (وهذا مهم جداً) زجّ أصحاب الرأي المخالف مع الفاسدين الذين يثبت عليهم اختلاس أو اعتداء على المال العام. الفساد تجب محاربته بضراوة، فهو أشد أعداء التقدم، والأمة التي ينخرها الفساد، لا يمكن أن يكون التوفيق حليفها.

«السعودية تُرسي قواعد للشفافية والمحاسبة، فالفساد أشد أعداء التقدم، والأمة التي ينخرها الفساد لا يحالفها التوفيق»

مـن حـق المـشرّع السـعودي أن يضـع التصـورات الـتي تقطـع مـع المـاضي، ويبـدع أفـكاراً تصلـح للتعاطـي الراهــن والمقبـل، فيمـا يتعلـق بالديـن والاجتمـاع، وضرورة إحــداث انفراجــات عــلى مســتوى العيــش المــدني المشــترك.

ومـن حـق مـن يرنـو إلى إحـداث «ثـورة بيضـاء» في بنيـة دولـة كـبرى كالسـعودية أن يواجـه باعتراضـات هنـا أو هنـاك، واسـتغرابات مـن هـذا الطـرف أو سـواه. لكـنّ الأكيـد أنّ تيـار التغيـير يمـضي قدمـاً إلى الأمـام، ولا يتعـين أن يعيقـه شيء.

ومـن واجـب غـير العالمـين بمـا يجـري وخلفياتـه أن يلتزمـوا الصمـت قليـلاً، كي تتجـلي الأمـور ويتبـيّن النـاس الخيـط الأبيـض مـن الأسـود، لأنّ الخـوض في معمعـة التحليـل في لحظـة انبثـاق الحـدث لـن تكـون صائبـة، فالتغيـير يلزمـه وقـت حـتى يثمـر زرعـه.

السـعودية، بـلا ريـب، تتغـيّر نحـو الأفضـل والأجمـل، وهـذا مـا يتعـين أن تتقبّلـه الذائقـة السـليمة المنزّهـة عـن الغـرض والأجنـدات والارتباطـات الـتي لا تـرى في أي شيء بقعـة بيضـاء، لأنّ غمامـة السـواد تخيّـم عـلى عيونهـا وقلوبهـا.

ولـو أنّ كل امـرىء حريـصٍ على مسـتقبل السـعودية، باعتبارهـا محـرك قاطـرة التغيـير (أو التقهقـر) في المنطقـة، نظـر إلى مـا يجـري في المملكـة باعتبـاره اسـتحقاقاً، وأخـذ ذلـك عـلى محمـل الجـد والحـب، لمـا اسـتعجل الأحـكام، ولمـا مـضى في جوقـة الناشريـن البغضـاء، ومفـبركي الأخبـار، والمحلّلـين الذيـن يصـدرون عـن الهـوى والرغبـات، لا عـن العلـم والمعرفـة.

لـن يـدرك، إلا كل مـن تمتّـع بالنزاهـة، الفضـلَ الـذي يمكـن أن ينالـه الإنسـان العـربي في حـال مضـت السـعودية بسرعـة وعـزم إلى الحداثـة، وتحلّلـت مـن تلـك الرواسـب الثقيلـة الـتي تجرّهـا إلى المـاضي، وتُشكل عنهـا الصـور النمطيـة الـتي تكرسـت في الذهـن الجمعـي، لا العـربي وحسـب، بـل والعالمـي.

لسـنا الآن في معـرض تقييـم التجربـة السـعودية الـتي يقودهـا طمـوح عمـلاق. فلنـدع الزمـن يعيننـا عـلى الحكـم، ولنراقـب، ولنمنـح أنفسـنا الوقـت الـكافي لرؤيـة أول التماعـات ضـوء النهـار. ولا يبـدو أنـه نهـار كبـاقي

«من المهم ألّا يحصل ظلم، وأن تُصان كرامات البشر، وأن تتم علمية «التطهير» في مناخات قانونية»

النهارات، فهو نهار طويل ومديد، علاماته أضحت تكشف عن تجلياتها الساطعة. ولا نحتاج سوى إلى عودة إلى الوراء قليلاً، قليلاً جداً، لنعلم أن ما تمّ في المملكة كان يحتاج ربما إلى عقود لإتمامه لو أنّ قاطرة التغيير ظلت تسير على مهلها.

وما أحرى بأولئك الناقدين، المتفرغين فقط لإثارة الزوابع، لو أنهم عادوا إلى حديث الآباء والأجداد الذين ما انفكوا يرددون: «إذا كانت السعودية بخير، فالأمة العربية والإسلامية بخير». وما تزال المقولة تتردد الآن، وستبقى؛ لأنّ الوزن السياسي والاقتصادي والمكانة الدينية للسعودية لا يمكن أن تتوفر في أية دولة أخرى في العالم. فلماذا نريد لهذه المكانة أن تهتزّ ولهذا الوجود الرمزي أن يتفكّك؟!

سينبري من يذكّر بأنّ السعودية صدّرت إلى العالم التطرف، في وقت ما، وأنها ما زالت تحكم المجتمع بقيود عفت عليها الأزمان، وأنّ الوهابية والسلفية المتشدّدة وجهان لعملة واحدة. وسيزيد آخرون، معدّدين النوائب والمصائب والمكائد، يخبطون خبط عشواء في العتمة، غير مبصرين، ولو التماعة أمل مما يجري أو سيجري، لأنّ على عيونهم عصابات سوداء سميكة، وعلى عقولهم طبقة من الإنكار ترفض الاعتراف بأنّ هذا الإرث الثقيل الذي يرهق كاهل المملكة في طريقه إلى التحلّل والزوال، وأنّ مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.

المريض الذي يعاني مصاعب كأداء ويذهب إلى الطبيب، لا يتعين أن يشترط ماذا يريد أو لا يريد إن هو شاء أن يستعيد عافيته ويعود بجسد صحي معافى. الطبيب قد يقرر استئصال جزء من هنا أو هناك، وقد يلجأ لعملية جراحية، أو استبدال شرايين أو ترميم أخرى. كل ذلك من أجل مصلحة المريض التي يقدّرها الطبيب ويحرص عليها أحياناً أكثر من المريض نفسه، فهو العالِم بالداء والدواء!

محمد جميل أحمد
كاتب سوداني

السعودية .. رهانات القطيعة مع زمن «الصحوة»

قد تكون عبارة «زمن دين بلا ثقافة» التي جعلها الباحث الفرنسي المعروف أوليفييه روا عنواناً فرعياً لكتابه «الجهل المقدس» خير مدخل لقراءة طبيعة حركة «الصحوة» التي هيمنت تمثيلاتها الأيدولوجية للإسلام في المملكة العربية السعودية على مدى ثلاثة عقود مضت؛ الأمر الذي يفسر التحولات الحالية التي تشهدها المملكة بأنها ردود فعل طبيعية تجاه تلك الحركة.

ذلك أن ما يحدث في المملكة، الآن وهنا، هو جزء من استحقاق طال انتظاره، بعد أن أدرك الجميع تقريباً الانسدادات النظرية والتأويلات النسقية لمفهوم الصحوة، عبر مزيج هائل من الكتابات المتشابهة، والأفكار النمطية الفقيرة، والشعارات المجوفة، لدعاة لم تتوفر كثرتهم الكاثرة على فكر موضوعي مختلف خارج تلك التأويلات النسقية للأيدولوجيا.

«ما يحدث في السعودية حالياً جزء من استحقاق طال انتظاره بعد إدراك الانسدادات النظرية والتأويلات النسقية لمفهوم الصحوة»

لقد كان الإيحاء المهيمن لهوية زمن الصحوة في المملكة العربية السعودية يتمثل في مجموعة من مقولات جاهزة وأفكار فقيرة في مجال: «الإعجاز العلمي للقرآن الكريم»، ونقد قشور الحضارة الغربية، والاستيهام المضلل لحيازة فهم السلف الصالح، مع وفرة من الرسائل الصغيرة في فروع الفقه بدت كافية في ذلك المناخ، لحشر أصحابها في زمرة «العلماء»، إلى جانب تعميم سردية محليَّة لما عرف بـ»الخصوصية « التي نشأ من جرائها نموذج تفسيري صحوي للمجتمع في المملكة، جعل منها حالة «طهورية» غدت في ذاكرة الصحويين كما لو أنها تعريف مرادف لحدود الجغرافيا السياسية للمملكة، ما أضفى في تقديرنا قيمة مضافة لتلك «الخصوصية» التي سيّجها خطاب الصحوة بـ»فهم « السلف الصالح؛ لينشأ من ذلك المزيج ظنٌ غالب لدى البعض، على أن تلك «الخصوصية» هي جزء جوهراني من نمط حياة كرسته الصحوة، وليمثل، بعد ذلك، انسداداً خطيراً في وجه الحياة الطبيعية للمجتمع في المملكة العربية السعودية.

والواقع، أن ثقافة الصحوة التي غلب فيها الدعاة على العلماء، والوعاظُ على الباحثين، كانت أيدولوجيا دينية قائمة على تأويل معين للنصوص الشرعية، ولقد كان هنالك، نتيجة لهذه الأيدولوجيا، تصورات مثالية للواقع الذي كان يتحرك بعيداً عن رؤى «الصحوة» وتأويلاتها.

كما كان واضحاً أن هذه الطريقة للتعاطي مع الواقع، إنما هي في الحقيقة انعكاس لتصورات بسيطة تملك رؤية طوباوية للعالم وللواقع من ناحية، وتحيل إلى بساطة في التجربة المنغلقة والمحدودة بحدود واقعها الخاص من ناحية أخرى.

وكان نتيجة لهذه التحولات في خطاب الصحوة أن شاع تماهٍ أيدولوجي خادع نشأت عنه مقايسة موهومة بين هذه الحالة من التأويل، وافتراض أنها حالة مطابقة لحياة الجيل الأول في الإسلام (وهنا تحديداً تسقط الحدود بفعل الأيدولوجيا بين الرؤية التأويلية القاصرة والمتوهمة لدى تيار الصحوة، والفهم المعرفي الحقيقي للإسلام في فهم الجيل الأول)، ولقد نشأ هذا الوهم في الأساس من الفهم التأويلي الاحتكاري للإسلام؛ وهو فهم بطبيعته المؤدلجة يقوم على أفضلية حصرية متوهمة لخطاب الذات،

«النزاع بين أيدولوجيات الإسلام السياسي مع مؤسسة التقليد في المملكة «هيئة كبار العلماء» كان نزاعاً صامتاً»

ونافية في الوقت ذاته للتأويلات الأخرى أو مقللة من شأنها.

وبالرغم من أن جسم الإسلام السياسي لم يكن موجوداً في المملكة كواجهة تنظيمية على غرار ما كان عليه الأمر في البلدان العربية الأخرى مثلاً فإن مقولات هذا الفكر في جانبها الدعوي، وعبر امتزاجها بخطاب حركي متحول عن السلفية ومتأثر بالإخوان المسلمين (وهو ما عرف بتيار السروريين بعد ذلك نسبة إلى الداعية السوري محمد سرور زين العابدين الذي كان يقيم في المملكة) مثلت الطبيعة المهيمنة لواقع الصحوة في المملكة.

كما يمكن القول إن النزاع بين أيدولوجيات الإسلام السياسي مع مؤسسة التقليد في المملكة «هيئة كبار العلماء» كان نزاعاً صامتاً، وإن كان التباين بينهما واضحا، في طبيعة الخطاب بين الطرفين، بيد أن تأثيرات الخطاب الصحوي وأيدولوجياته كانت هي الغالبة في الفضاء العام، وفي تقديرنا أن النزاع الصامت بين الطرفين كان يتمثل في المساومة التاريخية التي اضطر فيها الخطاب الإخواني الى مهادنة النمط التقليدي المحافظ للخطاب السلفي في المملكة من ناحية، ولإدراك الإخوان لطبيعة الحياة في هذا البلد، من ناحية ثانية.

ويرى كثير من الباحثين في المملكة العربية السعودية أن تعميم خطاب الصحوة في المجتمع، حرصاً على منع ظهور خطاب متطرف ومسلح في المستقبل؛ إثر حادثة الحرم التي قامت بها جماعة جهيمان العتيبي في العام ١٩٧٩، كان بمثابة الضوء الأخضر لدعاة «الصحوة» الذين استغلوا تلك الأوضاع المثالية للنشاط، مما أدى في النهاية إلى تصميم مناخ عام جسّد قطيعة واضحة بين الصيرورة الطبيعية للمجتمع السعودي منذ أيام الملك عبدالعزيز بعد توحيد المملكة في العام ١٩٣٢ إلى العام ١٩٧٩؛ أي العام الذي سبق الحادثة الإرهابية في الحرم المكي التي أقدم عليها جهيمان وأتباعه.

والواقع أن من توهموا «الوسطية» في خطاب «الصحوة» بالمملكة، تبيّن لهم، بعد ثلاثين عاماً، أن ذلك الخطاب هو أصل القطيعة التي كان ينبغي ألا تحدث حيال ما كان عليه الحال في العام ١٩٧٩.

«يرى باحثون أن تعميم خطاب الصحوة كان حرصاً على منع ظهور خطاب متطرف ومسلح بعد حادثة جهيمان العام ١٩٧٩»

فلم تكن «الوسطية» في ذلك الخطاب إلا وسطية متوهمة؛ إذ إنها عجزت عن تقديم خطاب معرفي لهوية الإسلام، يتمثل في خيارات مقاصدية من شأنها تسكين التناقضات المتوهمة بين هوية الإسلام وإمكانية حياة عصرية للمسلمين متصالحة مع متغيرات العالم الحديث، وللأسف كانت مفاعيل خطاب الصحوة تصب في ضخ التوترات، ليس بين المسلمين والعالم فحسب، بل حتى بين المسلمين داخل المجتمع السعودي؛ وذلك بسبب طبيعة الأيدولوجيا الانشقاقية التي هي من لوازم خطاب الإسلام السياسي، وما يتصل بها من عمليات تحويل المفاهيم الإسلامية ــ بحسب أستاذنا رضوان السيد ــ وإرجاع تفسيرها إلى مرجعيات خطابية أيدولوجية تتحرك وفق سرديات مضللة، وتقتضي بالضرورة في ذهنياتها المؤدلجة شروطاً للصدام مع المجتمع والعالم، وهو ما تمثل، بعد ذلك، في الحراك الإرهابي للجماعات التي آل خطابها المتشدد إلى ممارسات إرهابية خطيرة في المملكة، لاسيما منذ العام ٢٠٠٣ إلى العام ٢٠٠٩.

لقد كانت تمثلات الخطاب المتشدد، تكمن وراء الدعاوى المضللة لدعاة الصحوة وحججهم الخطابية، لا البرهانية، حول الاعتدال والوسطية؛ أي في الذهنيات التي كانت تجعل من الآخر المختلف في الفكر والرؤية مشروعاً للإقصاء والنبذ والتكفير (كتاب الحداثة في ميزان الإسلام لعوض القرني نموذجاً)، حيث يظهر فداحة الخطأ المنهجي حتى في عنوان الكتاب؛ فـ«ميزان» الإسلام هنا ليس هو بالضرورة هو ميزان المعرفة، بقدر ما يحيل إلى مماهاة متوهمة بين نوايا صاحب الكتاب باعتبارها «ميزان الإسلام».

لقد كان المزيج المضلل في خطاب «الصحوة» بين الإسلام السياسي للإخوان المسلمين، والسلفية المتحولة حركياً، بفعل اللقاء غير السعيد بين الخطابين، هو النموذج التفسيري الذي صمم، بعد ذلك، تيارات متناسخة لموجات من الدعاة والخطباء والحركيين الذين يقلد بعضهم بعضاً، دون أن تشكل أصداء خطابهم المكرورة رصيداً حقيقياً وواقعياً، أو تحدث فرقاً إيجابيا في واقع المجتمع السعودي. فالأحكام الانطباعية المتولدة من الآراء الظنية في خطاب الصحوة حيال قضايا وأفكار ومواقف في المجتمع السعودي كانت تشكل إطاراً لرؤية تيار عريض في المجتمع

«المزيج المضلل في خطاب «الصحوة» بين الإسلام السياسي للإخوان والسلفية المتحولة حركياً أفرز موجات مستنسخة من الدعاة والخطباء والحركيين»

ــبتأثير نشاط غير طبيعي لدعاة فضائيين (كانوا يستخدمون أشرطة الكاسيت في الثمانينيات) ثم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ــ ذلك أن أحكام القطع المتوهمة في الآراء الايدلوجية والظنية، جرى تعميمها لتكون نموذجاً تفسيرياً مريحاً، لكنها كانت تخلق مشكلات وأزمات داخل المجتمع لأنها بطبيعتها الظنية والأحادية تلك كان لا بد أن تعكس تشويشاً على الذاكرة العامة، وتنتج الكثير من المشكلات حين تفترض القطعي في الظني.

وهنا لا بد أن يكون الحرج الاجتماعي العام ناتجاً عن تلك الأحكام التي عمّمتها ذهنية الصحوة؛ فبحسب خطاب الصحوة المؤدلج، قد لا يكون تحري الحقيقة، والمعرفة والعدل في الأحكام هو المهم، لأن صعوبة الانفكاك عن تلك الحالة المتواطئة مع طبيعة الخطاب الأيدولوجي في تلك الأحكام هي التي توهم في ذهنية صاحبها اقتراناً شرطياً بين الحكم على شخص ما، وما عليه حقيقةً ذلك الحكم في نظام العلم والمعرفة، لا في الخطاب الانتقائي للأيدولوجيا الصحوية!

وهكذا، يكون مجرد حدث عادي جداً ككشف المرأة عن وجهها -بفعل تلك الذاكرة الأيدولوجية للصحوة ــ كافياً لإطلاق أحكام قيمة سلبية صارمة عنها، نتيجة فقط لتمثلات صدى اقتران شرطي ينتجه التوهم في الذهنية العامة للمجتمع! والواقع إن انطباق الحكم السلبي على المرأة التي تكشف عن وجهها، وفق ذلك التأويل الأوتوقراطي للأحكام، لا يتصل بحيثيات اتهام حقيقية، وإنما هو إسقاط ذاكرة طهورية للمجتمع تعجز عن ملاحظة الفرق بين حكم القيمة وحكم الواقع الأيدولوجي.

هكذا وعلى ضوء أمثلة كثيرة، فضلاً عن هذا المثال، عمّم خطاب الصحوة في

«ثقافة الصحوة التي غلب فيها الدعاةُ على العلماء والوعاظُ على الباحثين كانت أيدولوجيا دينية قائمة على تأويل معين للنصوص الشرعية»

المملكـة العربيـة السـعودية تمثيـلات مؤدلجة للكثـير مـن الأحـكام الظنيـة باعتبارهـا أحكامـاً قطعيـة في اتصالهـا بحيـاة النـاس وتفاعلاتهـم الطبيعيـة، جاعلـة مـن الإحسـاس الطهـوري مرجعيـة خطـيرة أعاقـت التطـور الطبيعـي للمجتمـع، وقطعـت تلـك الصـيرورة الـتي توقـف عنهـا المجتمـع بعـد العـام ١٩٧٩.

وإذا مـا بـدت لنـا اليـوم النتائـج الكارثية للإسـلام السـياسي الـذي أحـدث قطعيـة في الصـيرورة الطبيعيـة والسياسـية للسـودان منـذ العـام ١٩٨٩؛ يمكننـا القـول، أيضـاً: إن زمـن الصحـوة في المملكـة هـو الوجـه الآخـر للقطيعـة الـتي طالـت صـيرورة المجتمـع السـعودي، وأنتجـت تمثيـلات وأنمـاط حيـاة وذاكـرة مـا تـزال ضرورات القطـع معهـا اليـوم تعتـبر أهـم تحديـات الواقـع الجديـد في المملكـة العربيـة السـعودية.

محمد برهومة
كاتب أردني

السعودية تقلب صفحة «الغفوة الإسلامية»

يسمّي بعض السعوديين فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي بـ»الغفوة الإسلامية» بدلاً من تعبير»الصحوة» الذي تطلقه التيارات الإسلاموية عليها. ويذهب محللون إلى أنّ تَمكّن دولة الإمارات العربية المتحدة من كبح جماح «التيار الصحوي» على أرضها، وخصوصاً منذ منتصف التسعينيات، كان رافداً محورياً في انتعاش التجربة التنموية الإماراتية ونهضتها التحديثية، فيما شدّ «تيارُ الصحوة» إلى الوراء كلاً من السعودية والكويت. وحين نتذكر أنه في عام ١٩٧٨ جرى الحديث عن نظام للانتخابات البلدية في السعودية، نتفهم حديث القيادة الشابة في السعودية اليوم عن أهمية العودة إلى ما قبل ١٩٧٩.

لقد تشكّل التدين والوعي السعودي في تياره الأعرض بعيداً عن التشدد والتطرف حتى جاءت أربعة أحداث رئيسية فغيّرت

«المثير أنّ التحديث الاجتماعي والديني في السعودية اليوم يعني العودة إلى ستينيات وسبعينيات القرن الماضي في المملكة»

وجه هذا التدين والوعي، فانتقل من وعي يتجه بتدرج نحو «التوازن» واجتراح الإصلاحات، إلى «وعي هويّاتي» ينحو باتجاه تضييق الواسع بتديين الوجود وتقليص مساحة الحرية. كانت الأحداث الأربعة هي: الصراع بين الجمهوريين والملكيين، أي بين الزعيم المصري جمال عبد الناصر، الذي رفع لواء القومية العربية، وبين الملك فيصل بن عبد العزيز الذي رفع الراية الإسلامية لصد المدّ القومي عن بلاده، ومن هنا احتضانه قيادات «الإخوان المسلمين» الهاربة من نظام عبد الناصر. ولم يدُرْ ببال الملك فيصل أنّ هذه الواقعة ستكون حدثاً تأسيسياً للتشدد الديني في بلاده؛ فقد نفذ «الإخوان» إلى حقل التعليم والخطب والمحاضرات والمجال الديني والثقافي، وتخلّق من هذه البيئة تيار أكثر تشدداً وهو «الجماعة السلفية المحتسبة». وقد خرج، كما بات معروفاً، عن هذا التيار مجموعة جهيمان العتيبي التي اقتحمت المسجد الحرام في الحادثة الشهيرة عام ١٩٧٩. وكان اندلاع الثورة الإيرانية في العام ذاته هو الحدث التأسيسي الثالث الذي غيّر ملامح التدين السعودي لنحو أربعة عقود، وهو ما تكرّس مع واقعة رابعة هي غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، وتأصُّل العمل المسلح لدى الجماعات الإسلامية، في ظل حسابات إقليمية ودولية مواتية.

لم تكن السعودية قبل هذه الأحداث الأربعة بلداً ليبرالياً بالطبع، لكنها لم تكن أيضاً كما أصبحت بعدها. وكأيّ تأخرٍ، فإن حجب المرأة والتضييق على حقوقها وتأثيم الفنون والترفيه، ستكون الضحية.

قبل هذه الأحداث كانت السعودية، برغم خصوصيتها الدينية، نظراً لوجود الحرمين الشريفين فيها، دولة عادية مثل باقي الدول العربية تقريباً، حيث كان يتصالح التدين مع الانفتاح وحب الحياة وعدم الشك في الآخرين، وعدم التورّط في فوبيا فتنة المرأة. وقد كان الملك فيصل شديد الحزم في تطبيق قراره تعليم البنات (١٩٦٤) وفي إدخاله التلفاز إلى حياة

«قدّمت بدرية البشر في روايتها «غراميات شارع الأعشى» صورة مهمة عن السعوديين المحبين للموسيقى والغناء والرقص»

السعوديين، ولولا الأحداث الأربعة لكان مأمولاً أن تأخذ الإصلاحات، التي ارتكست، منحنى تصاعدياً. وقد قام العاهل السعودي الراحل الملك عبد الله بن عبد العزيز باجتراح خطوات نوعية في مجال الانتخابات وتمكين المرأة وتوسيع الحريات الاجتماعية، لكنها ظلت بحاجة إلى قوة دفع أقوى.

اليوم قررت السعودية «تجاوز التاريخ العبء»، ومحاولة قلب صفحة «الغفوة الإسلامية»، وأنْ تعود إلى طبيعتها التي كانت عليها قبل ١٩٧٩، أي قبل سيطرة التيار الصحوي والسلفي المتشدد على المجال الديني والتعليمي والثقافي في المملكة. ولا شكّ في أنّ ثمة تحديات تواجه هذا المسعى، وقد ألمح باتريك بويان، الرئيس التنفيذي لتوتال إلى هذا الجانب بقوله في الثاني من الشهر الجاري إنه في حين أنّ معظم الشبان السعوديين، الذين يُشكلون نحو ٧٠ بالمئة من إجمالي السكان في السعودية، يؤيدون الإصلاحات إلا أنّ الجيل الأكبر سناً ربما يُحجم عن قبول مثل هذه التغييرات.

والمثير للنظر أنّ التحديث الاجتماعي والديني في السعودية اليوم يعني العودة إلى ستينيات وسبعينيات القرن الماضي في السعودية، وقد قدّمت بدرية البشر في روايتها «غراميات شارع الأعشى» صورة مهمة عن فترة نهاية السبعينيات، حيث كان الناس متدينين ومتسامحين ويحبون الموسيقى والغناء والرقص وجلسات السمر، رجالاً ونساء، ثم بدأ يغزوهم التشدد والتفكير الذكوري والمنع والشك والتحريم، فكان النكوص إلى الوراء والتطرف، والتكسّب باسم الدين، وها نحن نشهد دعوة من القيادة السعودية لوقف ذلك، وثمة مؤشرات إلى أن المجتمع السعودي، مهيأٌ لهذه الانتقالة، أوالعودة إلى الإسلام المنفتح قبل أن تخنقه «الأحداث الأربعة»، وهي انتقالة، إذا ما جرى التخطيط لها بعناية ومهارة سترسم تضاريس «الدولة السعودية الرابعة» وتترك مفاعيلها القوية على عموم المنطقة.

صالح سالم
كاتب سعودي

ملامح التجديد الفكري في السعودية

تعيش المرحلة الفكرية الحالية في السعودية أعلى مراحلها في التعددية مع الآخر؛ وذلك من خلال فتح عدة مجالات تتبنّاها الحكومة دعماً وإدارةً ليصل صوتٌ آخر غير المعهود عن الفكر في السعودية؛ وذلك من داخل المجتمع في المملكة وليس من خارجه؛ فربما عهدنا في مراحل سالفة العديد من محاولات التعددية لكن في خارج المجتمع وليس من داخله؛ بينما في هذه المرحلة نحن إزاء تغير فكري

«إنّنا إزاء بهجة ثقافية وفكرية في مرحلتنا المعاصرة في الساحة الثقافية السعودية؛ نأمل أن تزداد هذه التعددية»

داخلي تتولاه الحكومة دعماً وتنظيماً؛ وفي هذا المقال يقتصر التحليل على الجانب الثقافي فحسب ولا يتعداه إلى جوانب أخرى.

ويمكن لنا أن نحلل هذه التعددية من خلال مجالين مهمين في الحكومة الحالية وهما: مجال الثقافة ومجال الترفيه.

ففي مجال الثقافة اهتمت الحكومة بفصل الإعلام عن الثقافة من خلال وزارتين مستقلتين؛ وإنشاء هيئة عامة للثقافة؛ وفتح المجال للفلسفة بل وتقريرها كمادة أساس في مراحل التعليم الثانوية؛ وبهذا فإنّ المجال الثقافي يخرج عن مسيرته الأحادية التي كانت مسيطرة ردحاً من الزمن نابذة لكل عمل ثقافي مخالف لها. كما أننا نجد اهتماماً بالسينما من خلال التصريح لها؛ والأهم من خلال فتح مجال الابتعاث لتعلم السينما في جامعات ومعاهد معتبرة عالمياً ويرعى هذه المبادرة (المجلس السعودي للأفلام).

وامتد التغير الثقافي من خلال تأطير عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان يعتبر التحدي الأساس في مناهضة الأعمال الثقافية كاللقاءات المختلطة بين الجنسين مثلاً.

وتم الإذن بالعديد من البرامج والمبادرات الفلسفية والفكرية التي لم يكن لها السماح في مراحل سالفة ومنها: حلقة الرياض الفلسفية؛ إيوان الفلسفة؛ منتدى الفكر، وغيرها من البرامج. وهناك برنامج متكامل تديره جمعية الثقافة والفنون تحت مسمى (الفعاليات الثقافية) يضم العشرات من المحاضرات والأنشطة الثقافية التي لم يكن لها أن تكون في مراحل سالفة.

وتقوم العديد من الجمعيات والأندية الثقافية بالجهد الثقافي ذاته عبر منصات متعددة كما نجده عند (مسك) التي تفرعت إلى العديد من الأعمال الثقافية الداعمة للشباب والفتيات لإبراز مواهبهم وتنوعهم الثقافي.

«رمزية استبدال هيئة الأمر بالمعروف بهيئة الترفيه لها بُعد مهم في تحليل المرحلة الآنية للمجتمع في السعودية»

ونحن حين نتحدث عن العمل الحكومي في الثقافة لم ننسَ إشكال العلاقة بين السلطة والثقافة إلا أنّنا إزاء حالة أحادية مسيطرة فترة من الزمن جعلتنا نفكر في زحزحة هذه الأحادية وإن كانت عبر السلطة. إلا أنّنا لا نريد أن تتحول الثقافة إلى أحادية في مجال مقابل لما كان سائداً في مرحلة سالفة؛ ونأمل أن نرى مزيداً من التعددية مع كل مخالف أيّاً كان اتجاهه.

وأما في مجال الترفيه فقد أخذ منحى أساساً في تغير النظرة إلى الترفيه لا باعتباره ترفيهاً مُعيناً على العبادة كما في مراحل سالفة؛ يقبع هذا النوع من الترفيه لعروض دينية توعوية؛ ومحاضرات يتصدرها شباب (تائب) يحكي تجاربه مع المخدرات؛ بل باعتباره ترفيهاً عالمياً يضم أعلى العروض الترفيهية العالمية؛ وفتح المجال الأكثر إشكالاً في ساحتنا الاجتماعية وهي إقامة حفلات الغناء والموسيقى؛ والمسرحيات والتجمعات المختلطة التي تهتم بالمهرجانات الثقافية.

والإشكال ذاته نستحضره هنا باعتبار علاقة السلطة بالترفيه؛ فليس من مهمة السلطة ترفيه المجتمع إلا أنّنا في حالة أحادية جعلتنا نقبل بهذه الإدارة للمجال الترفيهي كمنظم ومعين.

إنّ رمزية استبدال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهيئة الترفيه لها بُعد مهم في تحليل المرحلة الآنية للمجتمع والحكومة في السعودية؛ وهي رمزية طالت العديد من التغيرات الجذرية في التعليم كإلغاء نشاط (التوعية الإسلامية) في التعليم العام؛ وفتح المجال بالتصريح لأي مبادرة شبابية ثقافية تقدم هواية أو موهبة أو فناً للمجتمع؛ بل وتدعمها إعلامياً وربما مادياً.

ومع هذا التغير السريع والمريب للمجتمعات خارج السعودية أكثر ممن هم داخلها؛ فهل هناك تقبل للمجتمع لهذا التغير؟!

ربما يُدهش قبول المجتمع لهذه التغيرات الفكرية والثقافية علماءَ

السوسـيولوجيا؛ إذ إنّ عمـر المجتمعـات في التغـير طويلـة جـداً مقارنـة بعمـر الأفـراد؛ إلا أنّنـا إزاء حالـة مدهشـة مـن هـذا القبـول الـذي نجـد صـداه في ثنايـا المجتمـع؛ ونلحظـه عينياً مـن خـلال الحضـور والتفاعل في الحفـلات والمشـاركة في الأنشـطة الثقافيـة المتنوعـة مـن مراحـل عمريـة متنوعـة. ولعل هـذا الواقـع الفكـري البـشري التقـني الحـالي سـببٌ أسـاس في سرعـة هـذا التغـير؛ وسرعـة الاندمـاج مـع التغـيرات الثقافيـة المعـاصرة؛ لـذا يمكـن لنـا أن نفكـر بطريقـة أخـرى حينمـا نقـول: بـأنّ المجتمـع في السـعودية متجـاوز لهـذه التغـيرات الثقافيـة إلا أنّـه لـم يسـتطع أن يُظهـر التنـوع الثقـافي في مجالـه العـام مـن قبـل.

إنّنـا إزاء بهجـة ثقافيـة وفكريـة في مرحلتنـا المعـاصرة في السـاحة الثقافيـة السـعودية؛ نأمـل أن تـزداد هـذه التعدديـة مـن خـلال فتـح مجـالات أكـثر شـسوعاً للمخالـف؛ أن يَحـضرَ ويُحـضِر ثقافتـه ليعيشـها داخـل المجتمـع.

عمر الرداد
كاتب أردني

السعودية والإخوان المسلمون في اليمن.. محطات من المدّ والجزر

خلافاً لفروع تنظيم الإخوان المسلمين التي انبثقت عن التنظيم الدّولي للإخوان المسلمين في مصر؛ حيث بلد النشأة والتطور والامتداد، منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي، وامتداداته في المشرق والمغرب العربي منذ أواخر الثلاثينيات، فإنّ تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن لم يظهر إلى العلن إلّا بعد العام ١٩٩٠، بعد إقرار التعددية السياسية دستورياً؛ حيث تأسّس باسم «التجمّع اليمني للإصلاح»، بخليط من قيادات قبلية ودينية، وتحديداً في الشطر الشمالي من اليمن، برئاسة الشيخ عبدالله الأحمر، باعتباره زعيماً قبلياً يرتبط بعلاقات وثيقة ومتشعبة مع المملكة السعودية، تشمل قيادات سياسية وقبلية وأمنية.

نسجت السعودية علاقاتها مع تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن، في إطار المشهد العام لإستراتيجيها في اليمن،

«تنظيم الإخوان في اليمن لم يظهر إلى العلن إلّا بعد العام ١٩٩٠، بعد إقرار التعددية السياسية دستورياً»

عبد المجيد الزنداني من قيادات الإخوان المؤثرين العائدين من الجهاد في أفغانستان

المتضمّنة احتواءه عبر مراحل تاريخه، وصياغة إداراتها للصراعات فيه، وعلى هامشه، بما يخدم تطلعاتها، لذلك اتّسمت هذه العلاقة بالتقلب والتوظيف، في إطار براغماتية، تراوحت بين الصداقة والرعاية والتحالف والعداوة والاستهداف، تبعاً لمتغيّرات الصراع بين القوى اليمنية. ولإلقاء الضوء على تطورات هذه العلاقة ومنحنياتها، تمّ تقسيمها وبإيجاز إلى مرحلتين هما؛ ما قبل وما بعد الربيع العربي:

ما قبل «الربيع العربي»

في مرحلة بدايات الثورة على الملكية الإمامية، وظهور بوادر للانقلاب على النظام الإمامي، تمهيداً لإنشاء النظام الجمهوري، في أواخر ستينيات القرن الماضي، لعبت السعودية حينها دوراً مفصلياً في إنجاز المصالحة بين دعاة التمسّك بالإمامية ودعاة النظام الجمهوري، مع ميول غير خافية بدعم الإماميين، حفاظاً على النظام الملكي، بما في ذلك، ما شهدته تلك المرحلة من محاصرة للجمهوريين، في إطار سياق

«نسجت السعودية علاقاتها مع تنظيم الإخوان المسلمين في اليمن، في إطار المشهد العام لإستراتيجيها في اليمن»

عامّ برفض القومية واليسارية، والتمسّك بإسلامية المجتمع اليمني، في سياقات الحرب على الشيوعية في تلك المرحلة، التي اتُّهِم الجمهوريّون فيها بأنّهم يتبنّون أفكاراً خارجة عن الإسلام، ومن اللّافت أنّ السعودية، رغم الخلافات المذهبية، تحالفت في تلك المرحلة مع الزيدية ضدّ الإخوان المسلمين.

وكان قطاع التعليم في اليمن أبرز حلقات الصراع بين السعودية ومصر وسوريا، حتى منتصف السبعينيات من القرن الماضي، بعد إرسال مصر وسوريا عدداً من البعثات التعليمية إلى اليمن، بأفكار قومية وبعثية، وهو ما ردّت عليه المملكة بالتحالف مع قيادات ورموز إخوانية وقبلية يمنية، نجحت السعودية في إيصالها عبر ضغوط على القيادات اليمنية إلى مناصب مهمة في وزارة التعليم وإنتاج المناهج الدراسية، بعد استقدام معلمين من جماعة الإخوان المسلمين من دول أخرى، بما يضمن تنفيذ الإستراتيجية السعودية ببقاء اليمن في إطار محاربة الشيوعية.

وفي ظلّ الاستهداف السعودي للحزب الاشتراكي اليمني، الذي كان يقود الجمهورية الماركسية في اليمن الجنوبي بعدن، وثّقت السعودية تحالفها مع الإخوان المسلمين اليمنيين، والنظام في اليمن، لمحاربة الجبهة الوطنية اليسارية، ووظفت، في سبيل ذلك، قيادات إخوانية من الخطباء المؤثرين العائدين من الجهاد في أفغانستان ضدّ الاحتلال الشيوعي السوفييتي؛ كالشيخ عبد المجيد الزنداني.

ما بعد «الربيع العربي»

أسهم متغيران رئيسان في إعادة ترسيم العلاقة بين السعودية وتنظيم الإخوان المسلمين في اليمن، في إطار تداعيات «الربيع العربي»، بعد اختطاف هذا «الربيع» من قبل فصائل الإسلام السياسي، وتقاسمه بين الإخوان المسلمين، باعتبارهم العنوان الأبرز للإسلام السياسي بصيغته التي ترى في صناديق الاقتراع طريقاً يحظى بقبول دولي بالوصول إلى السلطة، لتحقيق إستراتيجية الإخوان المسلمين العميقة بإقامة دولة الخلافة الإسلامية بالتدرّج، والتنظيمات الإرهابية، ممثلة

«بعد استيلاء الحوثيين على صنعاء أعادت السعودية مرجعيات صراعها في اليمن ضدّ إيران»

بداعش والقاعدة والتنظيمات المرتبطة بهما، تحت مسميات مختلفة، في الدول التي شهدت ثورات على أنظمة الحكم، التي ترى أنّ الفرصة أصبحت مواتية لإعلان الخلافة الإسلامية، وهو ما شهده العراق وسوريا وأجزاء من ليبيا وسيناء في مصر.

أول هذه المتغيرات؛ التغيير الذي تمّ في مصر بوصول الإخوان المسلمين إلى السلطة، ودور السعودية المساند للرئيس السيسي بإقصاء الإخوان عن السلطة، وهو ما يعني موقفاً سعودياً ثابتاً ضدّ كافة تنظيمات الإخوان المسلمين في كافة الساحات، في موقف عبّر بوضوح عن انحياز السعودية ضدّ الإخوان المسلمين.

وثاني المتغيرات؛ تحوّلات الإخوان المسلمين في اليمن، بتعزيز التحالف مع دولة قطر على حساب تحالف تاريخي مع السعودية، وهو ما عدّته المملكة تحدّياً لها، خاصّة بعد أزمة قطر مع جيرانها في السعودية والإمارات والبحرين، إضافة لمصر، بقيادتها الجديدة ممثلة بالرئيس السيسي والمؤسسة العسكرية المصرية، وفي هذه المحطة اتسمت العلاقة بين السعودية وإخوان اليمن بعداءٍ سعوديّ معلَن، خاصّة بعد وقوفهم ضدّ الرئيس اليمني الراحل علي عبد الله صالح، وتردّد حينها أنّ قيادات في حزب الإصلاح فشلت في عقد لقاءات مع القيادة السعودية، التي تجاهلت طلبات تقدّم بها رئيس الهيئة العليا لحزب الإصلاح، محمد اليدومي، خلال العام ٢٠١٤، بسبب الرفض السعودي المطلق لأيّة حوارات مع إخوان اليمن.

وبعد استيلاء الحوثيين على صنعاء، أعادت السعودية مرجعيات صراعها في اليمن، باستبدال الحرب التاريخية ضدّ الشيوعية، إلى حرب ضدّ الشيعية الجعفرية الإثني عشرية، المدعومة من إيران، وتبدّلت التحالفات؛ حيث أصبح علي عبد الله صالح خصماً إلى جانب الحوثيين، وبدأت مؤشرات على إمكانية عودة الدفء لعلاقات السعودية بإخوان اليمن، في إطار صياغة الصراع في اليمن وعليه على أسس مذهبية، بعد استعداد تيارات من داخل حزب الإصلاح لحمل السلاح ضدّ الحوثيين، وتأييد القصف الذي دول التحالف بقيادة السعودية والإمارات ضدّ الحوثيين وتيار عبدالله صالح.

وفي تطـورات مـا بعـد تصفيـة الرئيـس صالـح عـلى أيـدي الحوثيـين؛ حاولـت المملكـة السـعودية إعـادة ترتيـب أوراقهـا مـع الإخـوان المسـلمين في اليمـن؛ حيـث تـمّ اسـتدعاء زعيـم التجمـع اليمـني للإصـلاح، محمـد اليدومـي، إلى الريـاض، وعقـد لقـاء مـع ولي العهـد السـعودي، محمـد بـن سـلمان، وولي عهـد أبـو ظـبي، محمـد بـن زايـد، في إطـار محاولـة سـعودية لإقنـاع الإصلاح بالاصطفاف إلى الشرعيـة اليمنيـة ومقاتلـة الحـوثي، وتـردّد في أوسـاط يمنيـة أنّ هنـاك تباينـاً بـين الرؤيتـين؛ الإماراتيـة والسـعودية؛ ففـي الوقـت الـذي تتطلـع فيـه الإمـارات لإقنـاع الإصـلاح بالانضمـام للجهـود الـتي يقودهـا تيـار في المؤتمـر الشـعبي بقيـادة ابـن عـلي عبـد الله صالـح (أحمـد)، وابـن عمّـه (طـارق) الـذي تمكّـن مـن الهـروب مـن قبضـة الحوثيـين، خـلال معـارك تصفيـة الرئيـس صالـح، فـإنّ رؤيـة السـعودية كانـت أن ينضـم الإصـلاح للقتـال إلى جانـب الشرعيـة اليمنيـة، ممثلـة بالرئيـس هـادي وعـلي محسـن الأحمـر، ومـع ذلـك كانت نتائـج هـذا اللقـاء محـدودة، ربمـا بفعـل التأثـير القطـري في الإخـوان المسـلمين؛ حيـث ظـلّ موقـف الإصـلاح باهتـاً، وربمـا متواطئـاً في التعـاون مـع الحوثيـين، في إطـار براغماتيـة إخوانيـة معروفـة، وقـد دلّـل الخطـاب الإعلامـي للإصـلاح في قضيـة أزمـة جزيـرة سـقطرى اليمنيـة قبـل أسـابيع، انحيـازات معلنـة ضـدّ الإمـارات، واتهامهـا باحتـلال الجزيـرة الإسـتراتيجية، بانحيـاز معلَن إلى جانـب قطـر وتركيـا، ودون أن يصـل حـدّ الهجـوم مـن قبـل الإصـلاح عـلى السـعودية، الـتي تمكّنـت مـن إيجـاد صيغـة حـلّ مناسـبة، تـمّ بموجبهـا إدخال بعـض القوات السـعودية الصغـيرة للجزيـرة.

عاصف الخالدي
كاتب أردني

الحداثة في السعودية ليست جديدة.. هذه هي الحكاية

تضم المملكة العربية السعودية صوراً مختلفة وعريقة في الفنون والثقافة، إضافةً إلى التنوع في التيارات الفكرية، رغم الصورة الطاغية لتياراتٍ دينيةٍ مختلفة، إلا أنّ قصة الحداثة فيها تحمل سيرةً مثيرة وغير عادية، ربما أهمها احتضان السعودية لأبرز القوميين العرب مطلع القرن العشرين.

ورغم أنّ صورة المملكة التي تشكلت في العالم الغربي، خصوصاً بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر)، وانعكست في العالم العربي، تطغى عليها الحركات والجماعات الإسلامية، لكن هذا، وجد في دولٍ إسلامية وعربية مختلفة مثل؛ مصر وباكستان.

آثارٌ مختلفة، تركها سعوديون في الفكر العربي وفي الأدب، إضافةً إلى بعض الإنجازات العلمية، وهو ما يمكن إلقاء نظرة عليه، للنظر في مقولة للبعض انتشرت مؤخراً، وهي أنّ حركة التحديث الجديدة في السعودية ليست إلا (ردة فعل

«تضمّ المملكة صوراً مختلفة وعريقة في الفنون والثقافة إضافة إلى التنوّع في التيارات الفكرية والدينية»

استقبل الراحل المؤسس عبد العزيز القوميين العرب بترحاب

سياسـية)، رغـم تاريـخ الشـعب السـعودي الغـني والمتنـوع.

أرض لكلّ عربي

بعـد انقضـاء الحـرب العالميـة الأولى، عـام ١٩١٨، كانـت المملكـة العربيـة السـعودية مـن الـدول العربيـة القليلـة المسـتقلة آنـذاك، في حـين بـدأت أفـكار القوميـة العربيـة والبحـث عـن الاسـتقلال وحـقّ تقريـر المصـير تظهـر في مواجهـة الاسـتعمار، فشـكّلت المملكـة حينذاك موطنـاً للقوميـين العـرب في بداياتهـم.

يقـول الباحـث الألمـاني، يـورك ديترمان، في كتابـه «كتابـة التاريـخ في المملكـة العربيـة السـعودية»: إنّ «القوميـين، خصوصـاً أولئـك الذيـن يؤمنـون بـضرورة ربـط الإسـلام بالعروبـة، وجـدوا ملجأهـم في السـعودية، ومـن أبرزهـم: شـكيب أرسـلان، الـذي حاولـت سـلطات الاحتـلال الفرنـسي التضييـق عليـه، فلجـأ إلى السـعودية الـتي منحتـه المواطنـة مباشرة خـلال العشرينيـات». وينقـل ديترمـان عـن أرسـلان قولـه: «منـذ اللحظـة الـتي وقفـت فيهـا بـأرض ميناء جـدة، شـعرت أنّـني عـربي حـرّ، في أرض عربيـة حـرّة غـير خاضعـة للأجنـبي».

أسـماء عديـدة أخـرى وردت في كتـاب ديترمـان، كانـت تحمـل آمـال أرسـلان نفسـها

أسهم النفط في ضمان اقتصاد المملكة وتقدمها السريع

وثقته، منهم؛ المفكر والمؤرخ السوري خير الدين الزركلي، القوميّ الذي عيّنته السعودية، عام ١٩٤٦، وزيراً لخارجيتها، بعد أن فوّضته لأعوام ليكون مستشارها للشؤون الخارجية، كما تبنّت السعودية عربياً سورياً آخر؛ هو يوسف ياسين الذي عمل في عدة مناصب، منها وزارة الخارجية كذلك، وأسماء أخرى؛ كحافظ وهبة من مصر، وفؤاد حمزة من لبنان.

وفق ديترمان؛ لم تكن المملكة العربية السعودية، منذ عهد الملك المؤسّس، عبد العزيز آل سعود (١٨٧٦-١٩٥٣)، بمعزلٍ عن الهموم العربية عامة، لكنّها تحاشت أيّة حربٍ مع القوى العظمى في ذلك الحين، وانشغلت بالتوحّد، والبحث عن مصادر ثروات للاستمرار، فاستعانت بالعرب الذين استقبلتهم، كي يساهموا في رسم السياسة الدولية للمملكة من خلال خبراتهم.

ظهور النفط وصعود الثقافة

شهد العام ١٩٣٥ بداية استخراج النفط في المملكة، التي كانت حينها آخذة بالتشكل؛ فلعب النفط دوراً مهماً، في بلد شبه خالٍ من الموارد، وتحتلّ صحراء الربع الخالي القاحلة مساحة واسعة من أراضيه.

وفيما تظهر المملكة العربية السعودية من بعيد، كأنّ معالمها لم تتضح للعالم الخارجي إلا مع اكتشاف النفط، فإنّ فسيفساء متنوعة جداً،

«لم تفتقر السعودية إلى الجدل الثقافي والفكري اللذين ترافقا بوجود تيارات دينية حجزت مقاعد لها في المشهد السعودي»

ثقافياً ودينياً وجغرافياً أيضاً، كانت تمنح المملكة صورتها، غير أنّ الصراع العربي مع الاحتلال الصهيوني حتى عام ١٩٦٧، والحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي وأمريكا، جعلت الدولة الغنية من عدة نواحٍ، لا تظهر في الإعلام والسياسة الدولية الخارجية إلا بوصفها مفتاح أمان للدول الكبرى اللاعبة في الشرق الأوسط، ولهذا بقي النفط وحده طافياً على السطح، مُخفياً ما تحته.

الواقع أنّ النشاطات الفكرية والثقافية السعودية بدأت مبكراً؛ على أيدي جيل من الصحفيين والكتّاب، مثل عابد خازندار؛ الذي نشط منذ نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، فكتب في الحداثة والشعر والأدب، وانتقد في الصحافة ما رآه من مشكلات مجتمعية تتعلق بحقوق المرأة، كما انتقد «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» آنذاك، وكذلك إبراهيم الناصر؛ الذي يعدّ من رواد الرواية السعودية، إضافةً إلى عبد الله الجفري، صاحب التقنيات القصصية المتقدمة، الذي ذاع صيته خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وترأس تحرير عدة صحف سعودية، مثل: «البلاد» و«المدينة.

ولمعت شاعرات وأديبات مثل: ثريا قابل، ومريم بغدادي، وأخريات من اللواتي أثرين المكتبة السعودية بالعديد من الدواوين الشعرية.

إضافة إلى السجالات الدينية والفكرية، التي أخذت مكانها مبكراً في المجتمع السعودي، في إشارة إلى وجود دولة وشعب، يمكنهما الصعود بسرعة نحو التقدم المأمول؛ فقد اشتهر مفكّرون من أمثال: عبد الله القصيمي؛ المثير للجدل على المستوى العربي كلّه، بمراوحته بين السلفية والإلحاد، ونقده طوال سيرة حياته للأنساق الفكرية السائدة عربياً، إضافة لمؤلَّفه ذائع الصيت «العرب ظاهرة صوتية»، الذي لاقى من النقد والجدل ما لاقاه، وبغضّ النظر عن الخلافات التي دارت مع القصيمي، فقد أضاف إلى المشهد السعودي والعربي مثالاً جديداً على الجرأة في الطرح، والجدل الممكن في أيّة قضية فكرية كانت.

ولم تفتقر المملكة العربية السعودية إلى الجدل الثقافي والفكري المستمرين، لكنّهما ترافقا كذلك مع وجود تيارات دينية متعددة ومختلفة، حجزت هي الأخرى مقاعد لها في المشهد السعودي.

الحداثة والتيارات الدينية

يقول الباحث السعودي في شؤون الحركات الإسلامية، خالد المشوح، في كتابه «التيارات الدينية في المملكة العربية السعودية»: «السلفية العلمية، والسلفية الحركية، والجامية، والسروريون، وجماعة الإخوان المسلمين، والعصرانيون، وأخيراً؛ السلفية الجهادية، جميعها تيارات دينية تشكلت في المملكة العربية السعودية لأسباب مختلفة؛ فكانت المدارس الدينية حول المسجد النبوي الشريف مركزاً للسلفية بأشكالها المختلفة، منذ أربعينيات القرن الماضي».

ويضيف المشوح: «معظم هذه التيارات، شكلت امتداداً للسلفية؛ حيث تخلو السعودية من أحزاب حركية سياسية، لكنها تموج بنقاشات وصراعات بين تيارات تحاول أن تتسيد المشهد»، وذلك في بلد يعدّ قلب العالم الإسلامي وفيه مكة المكرمة، قبلة المسلمين؛ حيث يشرح المؤلف كذلك ارتباط ظهور الإخوان في السعودية بصعودهم نهاية الستينيات، ومجيء بعضهم من أقطار عربية مختلفة ليعملوا هناك، كما ظهرت شخصيات شيوخ إسلاميين؛ كابن عثيمين، وابن باز فيما بعد، أثّروا دينياً، وبقوة، في المجتمع السعودي.

ويربط الباحث بين السلفية الجامية والجهاد العالمي في أفغانستان، في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، ومن ثم انتشار السلفية الجهادية بسبب ظهور تنظيم القاعدة.

ومن زاوية أخرى؛ شهدت السعودية حراكاً ثقافياً مهماً بعد مرحلة الرواد في الستينيات، كما أنّ عقد السبعينيات كان عقد سجال فكري.

ويشير رئيس نادي الرياض الأدبي، الكاتب سعيد الحيدري، إلى نشأة النوادي الأدبية في السعودية، فيقول: «بداية عام ١٩٧٥ تقدم عدد من الأدباء الكبار بفكرة إنشاء الأندية الأدبية، وقُدّم الطلب إلى الأمير فيصل بن فهد، وبالتالي لقيت الفكرة قبولاً وموافقة، فطلب من كل منطقة في المملكة تقديم طلب لإنشاء نادٍ أدبي فيها، فأنشئت نواة الأندية عام ١٩٧٥؛ في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجازان، والرياض، وعدد منها ما يزال حتى اليوم».

يرى الغذامي أنّ للحداثة حكاية خاصة في السعودية

ويؤكد الحيدري، من خلال تقريرٍ لصحيفة «الرأي» الكويتية، بتاريخ ١٠ آب (أغسطس) العام ٢٠١٤؛ أنّ «نشاط الأندية استمرّ بالتطور تحت إشراف رئاسة رعاية الشباب، حتى دخلت المرأة في منظومته بعد عام ٢٠٠٠».

وقد تميزت هذه الأندية بإصدار العديد من الكتب والمجلات التي ضمت أعمال أدبائها وباحثيها، كما تظهر ذلك أظهر المكتبة الرقمية السعودية، على موقعها الرسمي.

جوانب مختلفة تفتح الباب على سؤال الحداثة في المملكة العربية السعودية، وما آلت إليه من اختفاء تحت عباءة أحداث مختلفة .

وفي كتابه المثير «حكاية الحداثة في السعودية»؛ يقول أحد كبار النقاد السعوديين والعرب، وأحد رواد نظرية النقد الثقافي العربي، عبد الله الغذامي: إنّ «المحافظة سمة عربية عموماً وإسلاميةٌ خصوصاً، والعرب رأوا في السعودية جوهر المحافظة، ولم يفكروا بالعثور على الحداثة فيها».

ويضيف الغذامي «إنّ بعض دعاةِ الحداثة بذلوا جهاداً مقدساً حتى لا يتحول المجتمع السعودي إلى الحداثة، لذلك، لا بدّ من أنّ للحداثة حكاية خاصة في هذا البلد».

شهدت السعودية فترة انكماش اجتماعي أعقبت حادثة الحرم المكي

وجهيمان العتيبي، عام ١٩٧٩، وبعدها بعشرة أعوام تقريباً؛ ظهر الشيخ سعيد الغامدي، الذي دشّن بداية ظهور أشرطة التسجيل والمحاضرات الدينية، وانتشارها بين شباب الصحوة الدينية في السعودية، وقد وصفه الغذامي في كتابه قائلاً: «وصف الغامدي، في شريطه الأول، أيّ شخص يتحدث عن الحداثة والتقدم؛ بأنّه مدعٍ، وأنّه رسول الحداثيين، أو حاخام التنويريين».

ولم تمنع هذه المرحلة، وما تلاها من سقوط الاتحاد السوفييتي بعد أفغانستان، وحرب الخليج الأولى، من أن تعدّ الحقبة الممتدة من السبعينيات وحتى التسعينيات، حقبة غنية، خاصة في الأدب النسوي؛ حيث أنتجت روايات نسائية سعودية، تميّزت بالجرأة والخوض في القضايا الاجتماعية المختلفة، فاشتهرت روائيات سعوديات، من أمثال: ليلى الجهني براويتها «الفردوس اليباب»، ونورة الغامدي برواية «البوصلة»، ورجاء الصانع صاحبة رواية «بنات الرياض».

وظهر «العصرانيون» التنويريون؛ الذين استغلّوا تطور وسائل الاتصال والإنترنت لينشروا أفكارهم منذ بداية الألفية، يقول المشوح في كتابه آنف الذكر: هو «تيار رغم قلة منتميه وعدم ظهور منظومة أفكار واضحة لهم، غير أنّهم انتقدوا المواقف السعودية الرافضة لتدريس الفلسفة، وشجعوا مراجعة الخطاب الديني السائد، ويعتبر منصور الطريفي أحد رواد هذا التيار».

ولا يخفى أنّ المملكة العربية السعودية شهدت تغييرات اجتماعية وقانونية مهمّة بعد العام ٢٠٠٠، وصلت ذروتها، أو تكاد، في هذا العام (٢٠١٨)؛ بانفتاحها على معظم التيارات الفكرية والاجتماعية والحداثية في المملكة مستقبلاً، خصوصاً أنّ معظم هذه التغييرات جاءت في سياق لا يخدم أيّة أفكار متشدّدة يدعمها تيار ديني محدّد، وذلك أيضاً، ضمن ظروف المملكة الداخلية التي ساعدت في الحفاظ على أبرز سمة للمجتمع السعودي وهي المحافظة، وهي سمة مطلوبة من هذا المجتمع ومتوقعة منه، عربياً وإسلامياً.

تحديث ومستقبل

ركّزت سياسات المملكة التأسيسية على عدم الدخول في أيّ صراع من أجل بناء المملكة، وكانت خطة الملك المؤسس، عبد العزيز آل سعود، تقضي بمدّ أنابيب النفط حتى فلسطين، غير أنّ الاحتلال الصهيوني، المدعوم أممياً، أفسد هذه الخطة.

واليوم، تدخل المملكة في تحديات اجتماعية وسياسية مختلفة، أساسها التغيير

الاجتماعـي والتحديـث، ومواجهـة الأخطـار الخارجيـة بعـد انعـدام الأمـن في دول «الربيع العـربي»، وتغـول قـوى غـير واعيـة بمصالـح العـرب، مثلمـا تفعـل إيـران.

لقـد شـهدت السـعودية قفـزة حداثيـة في شـتى المجـالات؛ ففـي مجـال التعليـم؛ يبلـغ عـدد المبتعثـين السـعوديين للتعليـم في الخـارج، اليـوم، أكـثر مـن مئـة وعشريـن ألـف مبتعـث، وفي السـعودية العديـد مـن مراكـز الأبحـاث الفكريـة والعلميـة، أشـهرها تلـك الـتي تضمّهـا جامعـة «الملـك فهـد للبـترول والمعـادن»

وجامعـة «الملـك سـعود»، أمـا في مجـال الزراعـة والصناعـة؛ فتتجـه المملكـة إلى تطويرهمـا عـلى أراضيهـا، فالحديـث متـداول اليـوم، عـن عـدم الاعتمـاد عـلى النفـط وحـده، وتطويـر الاسـتثمارات الضخمـة لصالـح المملكـة والـدول العربيـة مـن حولهـا، بحسـب مـشروع «نيـوم»: الـذي تـم الإعـلان عنـه في تشريـن الأول (أكتوبـر) المـاضي.

قطعـت المملكـة أشـواطاً، وتجـاوزت مصاعـب كبـيرة، منـذ العـام ٢٠١٧، في مجـال محاربـة الإرهـاب مـن جهـة، ومنـح حقـوقٍ أوسـع للمـرأة السـعودية، والحـدّ مـن أيّ تشـدّدٍ في المجـال العـام للمجتمـع السـعودي، إضافـة إلى تطويـر نظـام المملكـة الاقتصـادي والسيـاسي.

هـذه هـي السـعودية؛ الـتي ضمّـت، بجسـدها المعقـد، الممتـدّ بصحاريـه وبحـره وجبالـه الخـضراء، مـا يطمـح إليه أيّ بلـد عربي إسـلامي؛ مـن تنـوّع وتيـاراتٍ سياسـية ودينيـة وفكريـة، وراوحـت بـين المحافظـة والحداثـة، متمسّـكة بصورتهـا الأساسـية؛ بأنّهـا مرجعيـة إسـلامية تضـمّ مكـة والمدينـة، وكمـا يقـول عبـد اللـه الغذامـي في كتابـه: «مهمـا ظـنّ البعـض أنّ السـعودية لـم تدخـل الحداثـة، أو حـاول آخـرون الجـزم بهـذا، فإنّهـا تتغـير، فقـد عاشـت ثـورة مبكـرة حـين تبنّـت الدولـة الأولى تصـور مجتمعهـا البـدوي للديـن والحيـاة، وهـا هـي اليـوم تتغـير مدفوعـةً بوعـي الحداثـة».

سامح فايز
صحفي مصري

الإخوان المسلمون في السعودية.. هكذا سعى البنا لاختراق الدولة الوليدة

كان مبدأ حسن البنا الذي وضعه أمام عينيه منذ اللحظة الأولى؛ هو أستاذية العالم، كان هدفاً بدأه بدعوته لتأسيس الفرد الإخواني، ثم الأسرة الإخوانية، ثم المجتمع الإخواني، معتقداً أنّ تلك التراتبية سوف تنتهي بسيطرته على مقاليد الأمور، عندما يتوغل من جنّدهم في مفاصل المجتمع، وهي صورة لم تكن حكراً على المجتمع في مصر، لكنها كانت دعوى عالمية سعى لنشرها في جميع الأمصار الأخرى، بإيفاد رسل إلى المجتمعات العربية من حوله بشكل خاص، أو تجنيد أبناء تلك المجتمعات عند وفودهم للدراسة في مصر، أو بالهجرة الإجبارية التي مرّ بها قادة «الإخوان»؛ عقب صدامهم مع نظام الحكم الناصري في مصر، أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، والتي نتج عنها فرار عبد البديع صقر إلى قطر،

«كان مبدأ حسن البنا الذي وضعه أمام عينيه منذ اللحظة الأولى؛ هو أستاذية العالم وكانت السعودية على رأس أولوياته»

السعودية على رأس الدول التي سعوا للتوغل فيها لما تمثله من قيمة دينية كبيرة للمسلمين

ومناع القطان إلى السعودية، وآخرين إلى دول عربية وأجنبية عديدة، ساعين لتأسيس أولى لبنات التنظيم الدولي لجماعة الإخوان.

التواجد الإخواني في السعودية

على رأس تلك الدول التي سعى «الإخوان» للتوغل فيها؛ كانت المملكة العربية السعودية؛ لما تمثله من قيمة دينية كبيرة في نفوس المسلمين، ولأن السيطرة على مقاليد الأمر فيها سيتبعها بالتالي السيطرة على جميع الأمصار العربية المسلمة.

ورغم محاولات البعض نفي وجود الإخوان في المملكة بشكل تنظيمي، إلا أنّ شواهد وكتابات عديدة أشارت إلى وجود إخواني في المملكة منذ عهد مؤسس الجماعة الأول، حسن البنا، الذي أورد في مذكراته، «الدعوة والداعية»، عن بدايات توجهه للتوغل بالمملكة؛ «فضيلة الشيخ حافظ وهبة، مستشار جلالة الملك ابن آل سعود، حضر إلى القاهرة رجاء انتداب بعض المدرسين من وزارة المعارف إلى الحجاز، ليقوموا بالتدريس في معاهدها الناشئة، واتصل الشيخ حافظ وهبة بجمعية الشبان المسلمين لتساعده في

التقى البنا بالملك عبد العزيز في رحلته تلك إلى الحج

اختيار المدرسين، فاتصل بي السيد محبّ الدين الخطيب، وحدثني في هذا الشأن، فوافقت مبدئياً، وجاءني بعد ذلك الخطاب التالي من الدكتور يحي الدرديري، المراقب العام للجمعية، بتاريخ ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨: «هذا ونرجوكم التفضل بالحضور يوم الخميس المقبل، وذلك لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة، الأستاذ حافظ وهبة، مستشار جلالة الملك ابن آل سعود، للاتفاق معه على السفر وشروط الخدمة للتدريس في المعهد السعودي بمكة»، وفي الموعد التقينا، وكان أهم شرط وضعته أمام الشيخ حافظ ألا أكون موظفاً يتلقى مجرد تعليمات لتنفيذها، بل صاحب فكرة يعمل على أن تجد مجالها الصالح في دولة ناشئة هي أمل من آمال الإسلام والمسلمين، وشعارها العمل بكتاب الله وسنّة رسوله وتحري سيرة السلف الصالح».

حلم تأسيس شعبة الإخوان في المملكة

ورغم تعثر مشروع سفر البنا للتدريس بالمملكة؛ لأسباب بيروقراطية، إلا أنّ حلم تأسيس شعب للإخوان بالمملكة ظل يراوده، حتى كانت زيارته الأولى للحج عام ١٩٣٦. ويشير مؤرخ الإخوان، محمود عبد الحليم، في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»، إلى أنّ «الأستاذ المرشد قد كاشفنا بأنّ فكرة الهجرة بالدعوة إلى بلد آخر من البلاد الإسلامية، يكون أقرب

«رغم تعثر مشروع سفر البنا للتدريس بالسعودية؛ لأسباب بيروقراطية، إلا أنّ حلم تأسيس شعب للإخوان بالمملكة ظلّ يراوده»

إلى الإسلام من مصر، قد سيطرت على تفكيره وملأت نفسه».

ويصف الباحث السعودي، نايف محمد العساكر، في كتابه «موسوعة حركات الإسلام السياسي»، مدى الترحيب السعودي بزيارة حسن البنا في موسم الحج»، فقد نشرت جريدة «أم القرى»، كبرى الجرائد السعودية، مرحّبة بالإمام البنا وصحبه، تحت عنوان «على الرحب والسعة»، تقول: «وصل على الباخرة (كوثر) التي أقلت الفوج الأخير من الحجاج المصريين كثير من الشخصيات المصرية المحترمة، لم تسعفنا الظروف بالتعرف إليهم إلا بعد صدور العدد الماضي، وإنّا نذكر منهم؛ الأستاذ الكبير حسن أفندي البنا، المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين».

ومن ناحية أخرى؛ يضيف الباحث بأنّ نظام الملك فاروق «أعدّ العدة لقتل البنا في السعودية، على أن تنسب الجريمة إلى بعض اليمنيين، لكنّ الحكومة السعودية استشعرت ذلك فأنزلت المرشد العام ضيفاً عليها، وأحاطت مقره بحراسة شديدة وقدمت إليه سيارة خاصة بها جندي مسلح لمنع الاعتداء عليه».

الخيانة والغدر

ويضيف العساكر في كتابه «لكنّ هذا الرجل (البنا) استمطى الخيانة والغدر، فقد طلب من الملك عبد العزيز أن يفتح فرعاً لفرقته، لكن نظر المؤسس الثاقب منعه، فما كان منه إلا أن بدأ العمل سراً، وافتتح فرعين له في مكة خفية، وتبعه في هذه الخيانات أصحابه ممن استقدمتهم المملكة للعمل فيها والعيش دون التجنيد والعمل السياسي، ولكنهم فعلوا كما فعل مرشدهم».

وأورد القصة أيضاً عبد الله بن بجاد العتيبي، في كتاب «الإخوان المسلمون في الخليج»: «ولعله في هذا العام (١٩٣٦)؛ كان اللقاء الشهير بين حسن البنا والملك عبد العزيز، والذي طلب فيه البنا إنشاء فرع لجماعة الإخوان المسلمين في السعودية، فكان جواب الملك عبد العزيز ذكياً وديبلوماسياً حين رفض الطلب

قائلاً للبنا: «كلنا إخوان مسلمون»، وأورد تلك القصة بالتفاصيل نفسها الباحث حسام تمام، في كتابه «تحولات الإخوان المسلمين».

لقاء البنا بالملك عبد العزيز

التقى البنا بالملك عبد العزيز في رحلته تلك إلى الحج، وأورد تفاصيل اللقاء محمود عبد الحليم، في كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»: «اعتاد الملك عبد العزيز آل سعود أن يدعو كل عام كبار المسلمين الذين يفدون لأداء فريضة الحج إلى مؤتمر بمكة المكرمة تكريماً لهم، وليتدارسوا أحوال المسلمين في العالم، وطبعاً لم توجه إلينا دعوة باعتبارنا من عامة الحجاج، قال: علمت بموعد هذا المؤتمر وبمكانه الذي سينعقد فيه، فأعددت نفسي والإخوان المائة في هيئة موحدة؛ هي الجلباب الأبيض، والطاقية البيضاء ...، وفي الموعد المحدد فوجئ القوم المجتمعون بمئة رجل في هذه الهيئة يخطون خطوة واحدة، يتوسط الصف الأول منهم رجل هو المرشد العام، فكان هذا حدثاً مثيراً للالتفات»، ثم يضيف البنا: «فطلبت الكلمة واعتليت المنصة، وارتجلت كلمة كانت أطول كلمة ألقيت، وكانت الكلمة الوحيدة التي أيقظت الحاضرين وقوبلت بالإعجاب، واهتزت لها المشاعر، وما كدت أنهي كلمتي حتى أقبلت علي جميع الوفود تعانقني وتشدّ على يدي، وتعاهدني وتطلب التعرف إلي، وإلى مَن معي، وتفتح قلوبها للفكرة التي تضمنتها كلمتي».

وأفاد البنا وجماعته من محاولات الإصلاح التي بدأتها المملكة العربية السعودية في مساعيها للنهضة بالدولة الوليدة، وانفتاحها على جميع حركات تجديد الخطاب الديني في المنطقة العربية، غير أنّ البنا كانت له مآرب أخرى من ذلك التوغل، الذي أصبح قائداً له بشكل أكبر تنظيماً، المصري مناع القطان، فيما بعد، إثر تركه للقاهرة وسفره إلى المملكة على خلفية الصدامات التي حدثت مع نظام حكم الزعيم الراحل، جمال عبد الناصر، وكان القطان أحد قيادات التنظيم في المنوفية بمصر قبل أن يهاجر إلى السعودية عام ١٩٥٣، ووُصف في عدة مراجع بأنّه الأب الروحي وأهم قيادات الإخوان في المملكة، وأنه أول مصري من جماعة الإخوان قام عملياً بتجنيد مواطنين سعوديين في دعوة الإخوان.

سامح فايز
صحفي مصري

كيف سعى الإخوان المسلمون لاختراق منظومة التعليم في السعودية؟

في كتابه «سرّ المعبد»، ينقل ثروت الخرباوي، عن القيادي الإخواني أحمد أبو غالي، قوله: «كانت دولة آل سعود شاخصة في ذهن حسن البنا، وكان يعدّها الدولة «البروفة» لدولة الخلافة الإسلامية، التي كان يرى نفسه من خلالها خليفة للمسلمين».

ومنذ اللحظة الأولى لاتصال البنا بالمملكة العربية السعودية، وهو يسعى لتحقيق ذلك الحلم، وبدأ مساعي التنفيذ من خلال زياراته السنوية لإقامة شعائر الحج، التي بدأها بحجته الأولى عام ١٩٣٦، ورغم رفض الملك عبد العزيز طلب البنا بإقامة تجمعات للإخوان بالمملكة إلا أنّه عمل على تنفيذها سراً.

«يعتبر التعليم والسيطرة عليه جزءاً أصيلاً في فكر جماعات الإسلام السياسي عموماً، وجماعة الإخوان على وجه الخصوص»

وذكر عبد الله بن بجاد العتيبي، في كتاب «الإخوان المسلمون في الخليج»، اهتمام البنا بإنشاء شعب للجماعة في المملكة، قائلاً: «ولعلّه في هذا العام (١٩٣٦)؛ كان اللقاء الشهير بين حسن البنا والملك عبد العزيز، والذي طلب فيه البنا إنشاء فرع لجماعة الإخوان المسلمين في السعودية، فكان جواب الملك عبد العزيز ذكياً ودبلوماسياً حين رفض الطلب قائلاً للبنا:»كلنا إخوان مسلمون».

التعليم واختراق منظومة الدولة

صباح السادس من نيسان (أبريل) ٢٠١٥؛ ذهب وفد من وزارة التربية والتعليم في القاهرة، إلى واحدة من المدارس التابعة لجماعة الإخوان، لحرق الكتب التي أقرّت ثلاث لجان شكلتها وزارة التربية والتعليم على التوالي أنها محرفة، وتنشر الفكر المتطرف، واكتفت اللجان لتأكيد صحة التقرير بذكر أنّ المدرسة يملكها صهر القيادي الإخواني عصام العريان، ويديرها آخر متزوج من قريبة للقيادي حلمي الجزر، دون ذكر أمثلة من هذا التحريف الذي تضمنته الكتب، وأوصت اللجان بإعدام الكتب المحرَّفة، التي قدرت بـ ٤٢ كتاباً، واستبعاد ٤٠ كتاباً، رأت اللجنة أنها أكبر من عقل الطلبة.

حادث حرق الكتب أحدث جدلاً كبيراً في الشارع المصري، وانتبه الجميع لمسألة سيطرة جماعة الإخوان على العشرات من مدارس التعليم الأساسي؛ فبعد قيام ثورة ٣٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٣؛ تمّ حصر المدارس الخاصة التابعة لجماعة الإخوان المسلمين؛ لوضعها تحت التحفظ وإدارة وزارة التربية والتعليم، وأدرجت المدارس في ملف تمّت تسميته بمدارس ٣٠ يونيو، وأكّدت التصريحات أنّ المدارس المتحفظ عليها بلغ عددها ١٠٤ مدرسة.

واختراق التعليم كان الوسيلة الأضمن التي اتبعها تنظيم الإخوان في جميع الدول العربية التي انتشر فيها، ساعياً لفرض سيطرته عليها، وعلى رأس تلك الدول المملكة العربية السعودية.

«الخرباوي نقلاً عن قيادي إخواني: كانت دولة آل سعود شاخصة في ذهن البنا، باعتبارها الدولة «البروفة» لدولة الخلافة الإسلامية»

حسن البنا معلماً بالمملكة

أورد حسن البنا في مذكراته «الدعوة والداعية»، قصة دعوته للتدريس بالمملكة العربية السعودية، قائلاً: «فضيلة الشيخ حافظ وهبة، مستشار جلالة الملك ابن آل سعود حضر إلى القاهرة رجاء انتداب بعض المدرسين من وزارة المعارف إلى الحجاز، ليقوموا بالتدريس في معاهدها الناشئة، واتصل الشيخ حافظ وهبة بجمعية الشبان المسلمين لتساعده في اختيار المدرسين، فاتصل بي السيد محبّ الدين الخطيب، وحدّثني في هذا الشأن، فوافقت مبدئياً».

ورغم أنّ المسألة لم تتم بسبب إجراءات بيروقراطية منعت سفر البنا إلا أنّ حلم الجماعة في اختراق منظومة التعليم بالمملكة لم ينقطع، وعاد التفكير فيه من جديد مع خروج مناع القطان من القاهرة متوجهاً إلى السعودية؛ هرباً من تتبع النظام المصري لبقايا جماعة الإخوان بالقاهرة.

كان القطان أحد قيادات التنظيم في المنوفية بمصر، قبل أن يهاجر إلى السعودية، عام ١٩٥٣، ووصف في عدة مراجع بأنه الأب الروحي، وأهم قيادات الإخوان في المملكة، وأنه أول مصري من جماعة الإخوان قام عملياً بتجنيد مواطنين سعوديين في دعوة الإخوان.

غادر مصر، عام ١٩٥٣، إلى المملكة العربية السعودية، للتدريس في مدارسها ومعاهدها، إلى عام ١٩٥٨؛ حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إضافة إلى عضويته في مجلس الجامعة، ورئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات، وكذلك لجنة السياسة التعليمية بالمملكة، وكان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات محمد بن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتي بلغ عددها ١١٥ رسالة.

وافتتح القطان المعهد الديني في الاحساء، ثم انتقل إلى القصيم ليفتتح أول معهد ديني بها، إلى جانب أنه كان عضواً في اللجنة العليا لسياسة التعليم، والتحق

بكلية الشريعة بالرياض كأستاذ، ومن ثم أصبح مدير المعهد العالي للقضاء، وأسّس الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود وكان رئيساً لها، وأشرف على الكثير من رسائل الدكتوراه، وتتلمذ على يده الكثير من العلماء والقضاة المعاصرين.

اختراق الإخوان للمناهج التعليمية

ويعدّ التعليم والسيطرة عليه جزءاً أصيلاً في فكر جماعات الإسلام السياسي عموماً، وجماعة الإخوان على وجه الخصوص، والتي لم تكتف بمجرد اختراق المؤسسات التعليمية فقط؛ بل تعدى الأمر ذلك، ليصل إلى اختراق المناهج نفسها، سواء بتأسيس الإخوان لمناهجهم الخاصة التي يعملون على تدريسها للأطفال والشباب في تجمّعات الأسر الإخوانية، أو التدخل في وضع مناهج التعليم الرسمية.

ونشر موقع «ميدل إيست» ملخصاً لبحث يوسف الديني «الإخوان وتأسيس السلطة الرمزية ابتلاع الحقل التعليمي في السعودية»؛ إذ «تعتبر التربية والتعليم في فكر الجماعة الأم «الإخوان المسلمون» وبقية تيارات الإسلام السياسي، جزءاً من الشمولية الأيديولوجية في فهمهم ورؤيتهم للإسلام الحركي، الذي يعمل في الواقع بديناميكيات تغييرية، فالمبدأ الأول من

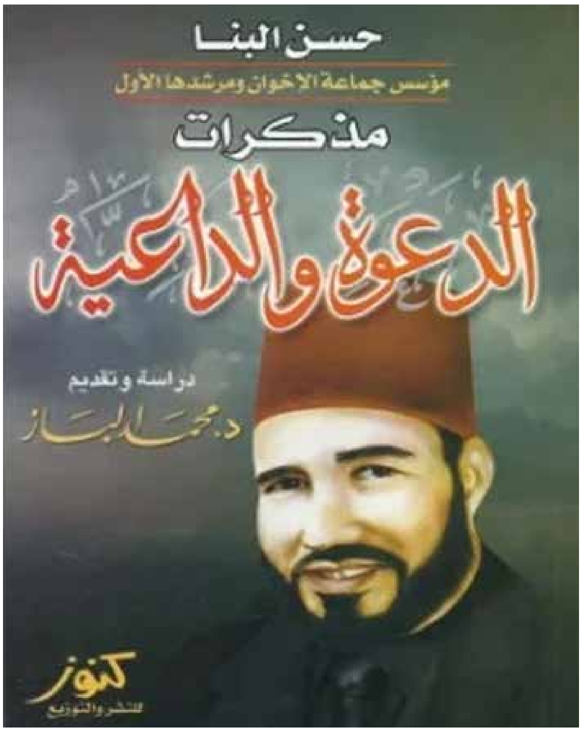

«الدعوة والداعية»

الأصول العشرين التي تمثل أساس تلك الرؤية، هو إعادة طرح مفهوم الإسلام بعد سقوط الخلافة كعقيدة حركية سياسية، فهو بحسب البنا: «نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

مواجهة خطر الإخوان

المملكة العربية السعودية أدركت مؤخراً ذلك الخطر، ونشرت جريدة «الشرق الأوسط» تقريراً ذكرت فيه مناقشة ولي

العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز، خلال لقاء تلفزيوني أجرته معه شبكة «سي بي إس نيوز» الأمريكية، إشكالية غزو فكر جماعة «الإخوان المسلمين» لنظام التعليم في المملكة، ومضي بلاده في اجتثاث كلّ من ينتمي لهذا الفكر أو يتعاطف معه خلال الفترة القصيرة القادمة.

وذكرت الجريدة أنّ هذا التوجه، ورد في كلام وزير التعليم السعودي، الدكتور أحمد العيسى، الذي ذكر أنّ توغل جماعة «الإخوان» في التعليم حقيقة لا تقبل النقاش، إضافة إلى انخراط بعض رموز الجماعة، ممن هربوا من مصر في حقبتي الستينيات والسبعينيات، والتحقوا بقطاع التدريس في التعليمين العام والجامعي السعودي.

وتطرق العيسى، في تصريحه، إلى الجهود المبذولة لمحاربة الفكر المتطرف من خلال إعادة صياغة المناهج الدراسية وتطوير الكتب المدرسية، وضمان خلوّها من منهج «الإخوان»، ومنع الكتب المحسوبة على الجماعة من جميع المدارس والجامعات، وكذلك إبعاد كلّ من يتعاطف مع الجماعة أو فكرها أو رموزها عن أي منصب إشرافي أو من التدريس، هذا إلى جانب التوعية بخطر فكر الجماعة من خلال الأنشطة الفكرية في الجامعات والمدارس.

سامح فايز
صحفي مصري

إخوان العتيبي.. تاريخ الجماعة السلفية المحتسبة في السعودية

يعدّ منتصف الستينيات نقطة تحوّل في تاريخ جماعات الإسلام السياسي المصرية، والتي تأثرت بإعدام سيد قطب ورفيقيه؛ عبد الفتاح إسماعيل، ومحمد يوسف هواش، وأيضاً بهزيمة الجيش المصري أمام الأطماع الصهيونية، وتراجع الاحتفاء بالفكر القومي، واقتراب البعض إلى الفكرة الإسلامية، كسبيل للتغيير.

ونتيجة لذلك؛ تأسست مجموعات الجهاد في مصر، وبدأت ملامح جماعة ظهرت لاحقاً، وهي جماعة المسلمين، أو المشهورة إعلامياً باسم «جماعة التكفير والهجرة»، غير أنّ منتصف الستينيات أيضاً كان نقطة تحول مهمّة في تاريخ المملكة العربية السعودية، وعلاقتها بجماعات الإسلام السياسي المعاصرة، نتيجة تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة، عام ١٩٦٦، التي قاد أحد مؤسسيها، عام ١٩٧٩، عملية مسلحة لاحتلال الحرم المكي، والثورة على نظام الحكم السعودي.

«منتصف الستينيات كان نقطة تحول مهمّة في تاريخ المملكة وعلاقتها بجماعات الإسلام السياسي نتيجة تأسيس الجماعة السلفية المحتسبة»

الجماعة السلفية المحتسبة

رصد كتاب «حتى لا يعود جهيمان»، للباحثَين: توماس هيغهامر، وستيفان لاكروا، صعود «الجماعة السلفية المحتسبة»، وتدشينها، فبحسب المؤلفَين؛ تشكّلت المجموعة، التي سميت «جسم»، في المدينة المنورة في أواسط الستينيات، شكّلتها مجموعة صغيرة من طلبة الدين، كانوا يعملون، لبعض الوقت، في مجال الدعوة في الأحياء الفقيرة، ونظراً إلى أنهم تأثروا بالألباني، أصبح لديهم إيمان راسخ بأنّ المذاهب الفقهية، والتيارات الإسلامية في ذلك الوقت، بما في ذلك التيار الرسمي السعودي، أي الوهابية، تحتاج إلى التنقية من البدع والأفكار الخاطئة، كما عملوا على مواجهة التأثير المتزايد لجماعات أخرى موجودة على الساحة في المدينة خلال السبعينيات، وخاصة جماعة التبليغ والدعوة وجماعة الإخوان المسلمين.

ويضيف مؤلفا الكتاب؛ أنّ كلا هذين الهدفين كان يشاركهم فيهما أهم العلماء الموجودين في المدينة في ذلك الوقت؛ كعبد العزيز بن باز، وأبو بكر الجزائري، وقد

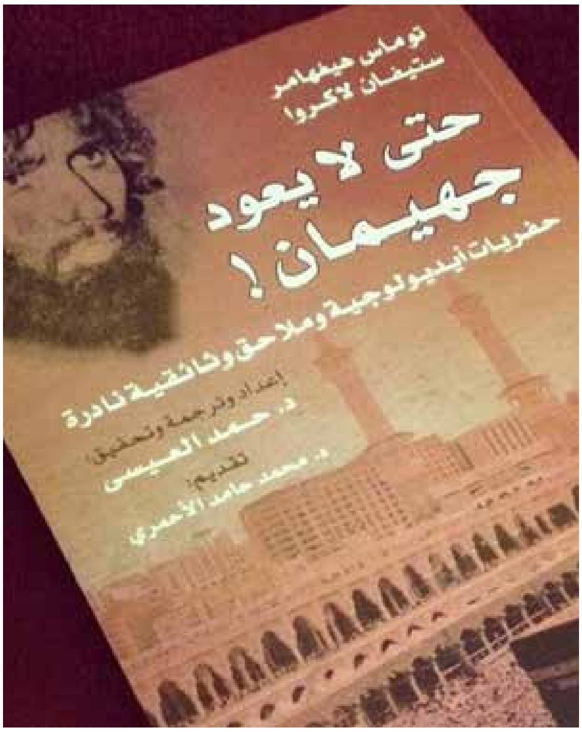

كتاب «حتى لا يعود جهيمان»، للباحثَين: توماس هيغهامر، وستيفان لاكروا

تواصل الأعضاء المؤسسون لـ «جسم» مع هذين العالمين، وعدّوا ابن باز شيخهم.

كان الدافع المباشر لتشكيل «جسم»؛ هو حادثة سميت «تكسير الصور»، وقعت عام ١٩٦٥، وكما ورد في كتاب «حتى لا يعود جهيمان»: «لقد رأى بعض الدعاة أنّ من واجبهم فرض التمسك بالدين وقواعده بـ «القوة» في أجزاء محددة من المدينة، وكان هذا الجهد الدعوي يتضمن تكسير

«برزت صور جهيمان العتيبي أثناء حصار مكة واقتحامه وأتباعه للحرم المكّي وادّعاء عودة المهدي المنتظر مطالباً الناس بتقديم البيعة»

الصور الموجودة في الأماكن العامة، وفي بداية الستينيات، حدثت بعض الاحتكاكات والمصادمات بين هؤلاء الدعاة المتعصبين والسكان المحليين، وتم تجاهل أفعال هؤلاء المتشددين الذين كانوا يتصرفون دون أيّة صفة رسمية، حتى قيام بعض الدعاة الشباب بتكسير تماثيل لعرض الملابس النسائية، كانت تعرض أقمشة وملابس في وسط المدينة، ونظراً إلى أنهم أتلفوا جزءاً من منشأة تجارية، تم القبض عليهم وإيداعهم السجن لمدة أسبوع تقريباً، هذه المواجهة مع الشرطة ألهمت الناشطين الرئيسين بضرورة تنسيق وتكثيف جهودهم، وبعد فترة ليست بالطويلة من هذه الحادثة، قرروا تأسيس جماعة تشملهم تحت مسمى «الجماعة السلفية»، ثم تواصلوا مع ابن باز وطلبوا موافقته على إنشاء الجماعة.

رحّب ابن باز بالفكرة، واقترح إضافة لقب «المحتسبة» إلى اسمها، وهكذا أصبح ابن باز بمثابة المرشد الروحي الرسمي للجماعة، وعين أبو بكر الجزائري نائباً له».

«جسم» لم يكن لها رئيس رسمي، لكن كان يحكمها مجلس شورى يتكون من ٥ أو ٦ أعضاء، بمن في ذلك ٤ من المؤسسين، إضافة إلى الجزائري.

أيام مع جهيمان

ناصر الحزيمي، أحد الأعضاء السابقين في الجماعة السلفية المحتسبة، ومن المقربين للعتيبي، ذكر في كتابه «أيام مع جهيمان»: أنّ الجماعة تأسست بعد حادث «تكسير الصور»؛ حيث تجمعت مجموعة مكونة من ستة أشخاص بعد صلاة العشاء، وقرروا أن يؤسسوا جماعة تقوم بأمور الدعوة والتذكير في المساجد والأماكن العامة، وجميعهم خرجوا من عباءة جماعة «التبليغ والدعوة»، عدا واحد منهم أشار الحزيمي إلى أنه من الإخوان المسلمين.

يقول الحزيمي في كتابه: «ولأنّهم يرون أنّ جماعة التبليغ لا تهتم بالتوحيد في دعوتها، كما أنهم كثيراً ما يتساهلون في قضايا الولاء والبراء وقضايا إنكار المنكر، رأوا أنها جماعة لا تدعو على هدي من

زادت تدريجياً نشاطات «جسم»، وجذبت أعداداً كبيرة نسبياً من الأتباع

الكتاب والسنّة، وهؤلاء الستة هم: جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وسليمان بن شتيوي، وكان حينها طالباً في الجامعة الإسلامية، وناصر بن حسين العمري الحربي وسعد التميمي، وكلّ منهما طالب في معهد المعلمين حينها، وهناك اثنان لم أدركهما».

بيت الإخوان

زادت تدريجياً نشاطات «جسم»، وجذبت أعداداً كبيرة نسبياً من الأتباع في المدينة، جاء في كتاب «حتى لا يعود جهيمان»: «في بداية السبعينيات، كانوا يجتمعون في منزل بني خصيصاً لهذا الغرض، ليكون مقراً للجماعة، وعرف باسم «بيت الإخوان»، وكان يقع في منطقة الحرة الشرقية بالمدينة، وهي منطقة مشهورة بمحافظة سكانها الدينية الصارمة، وأصبح «بيت الإخوان» نقطة التجمع الطبيعية ومركز إدارة «جسم»، إضافة إلى ذلك، أصبح منتدى للدروس اليومية، والمؤتمرات الأسبوعية، لقد كان يديره أحمد حسن المعلم، وهو صديق مقرب من جهيمان، وطالب يمني سابق في الجامعة الإسلامية بالمدينة».

بمرور الوقت، أصبح هيكل «جسم» التنظيمي أكبر حجماً، وأكثر تعقيداً؛ فقد تم استحداث لجان إدارية جديدة لتنسيق بعض الأمور العملية، مثل: اللجنة المتخصصة في تنظيم سفريات الأعضاء، ولجنة أخرى متخصصة في تنظيم استقبال الضيوف، ولجنة ثالثة متخصصة في تنظيم رحلات إلى القرى لأعضاء الجماعة المسمين

بـ «المسافرين الجوالين»، والذين يعملون في الدعوة وتجنيد الأعضاء الجدد.

كما شجعت «جسم» أتباعها على تأسيس فروع مشابهة في مدن أخرى في المملكة، وبحلول عام ١٩٧٦، كان هناك أعضاء لـ «جسم»، يوجدون بصورة عملية في جميع المدن الكبرى في السعودية.

تطرف أعضاء الجماعة السلفية المحتسبة دفع بعض العلماء للجلوس معهم في محاولة للتخفيف من حدة ذلك التطرف الفكري، وتم تنظيم لقاء في بيت الإخوان، غير أن ذلك اللقاء كان نقطة تحول مهمّة في تاريخ الجماعة، تغيّرت على خلفيته القيادة العامة للتنظيم؛ حيث انتقلت إلى جهيمان العتيبي، وعن تلك الحادثة، المسماة «حادثة السطح»، جاء في كتاب «حتى لا يعود جهيمان»: «زارت مجموعة من علماء المدينة «بيت الإخوان» بقيادة أبي بكر الجزائري في محاولة لإقناع أعضاء «جسم» بالتخلي عن تلك الممارسات الغريبة، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد غادر المدينة في ذلك الوقت، عائداً إلى الرياض، عقد الاجتماع على سطح «بيت الإخوان»، ووقع تصادم عنيف بين الجزائري والمتشدد جهيمان العتيبي. ونتيجة حادثة السطح حدث انشقاق في «جسم»: الأقلية، ومن ضمنهم

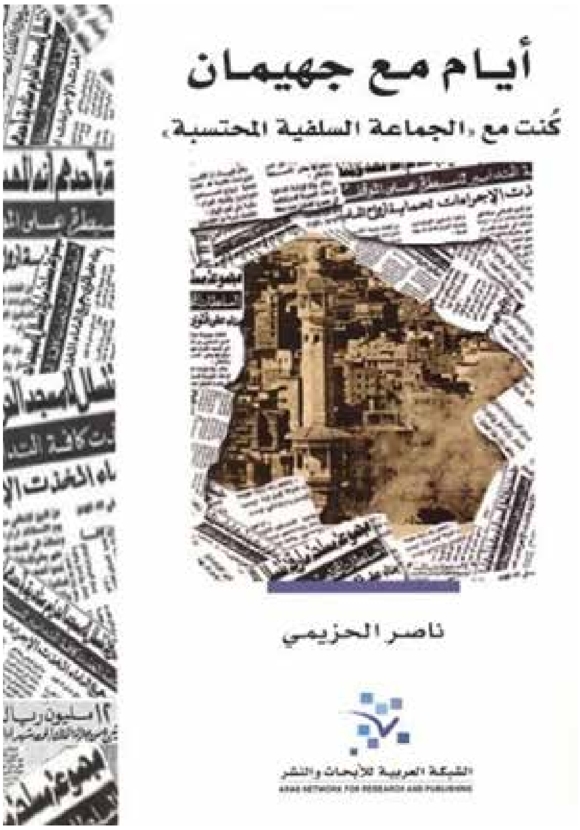

«أيام مع جهيمان» لناصر الحزيمي

معظم الأعضاء التاريخيين للجماعة، أعلنوا ولاءهم للجزائري، وغادروا «بيت الإخوان»، بينما الأغلبية، التي تتكون من الشباب والمتشددين، احتشدوا حول جهيمان، وأصروا على مواصلة ممارسة أساليبهم».

إخوان العتيبي

بعد تلك الحادثة، أصبح العتيبي قائداً للجماعة، وسمّى نفسه وأعضاء جماعته «الإخوان». يوضح ناصر الحزيمي في «أيام مع جهيمان»، تفاصيل نشأة العتيبي: «من المعروف أنّ جهيمان نشأ في إحدى الهجر التي أنشئت لاستقرار البدو

وتعليمهم، والذين عرفوا فيما بعد باسم الإخوان، «إخوان من طاع الله»، واسم هذه الهجرة «ساجر»، وكان جميع البدو القاطنين في هذه الهجرة من الإخوان الذين حاربوا مع الملك عبد العزيز، بقيادة سلطان بن بجاد، ثم تمردوا على الملك عبد العزيز، بسبب منهج التحديث الذي انتهجه الملك عبد العزيز، وحاربوه في واقعة «السبلة»، وهزموا أمامه، واستسلم سلطان بن بجاد للملك عبد العزيز وتوفّي بعد ذلك في السجن، بعد مدة، هذه الواقعة ولدت شعوراً بالغبن عند الإخوان عموماً، وعند أهل ساجر خصوصاً، ونشأ جيل ورث بعضهم الضغينة للنظام القائم والتمرد عليه، مثل هذا المحيط المتمرد هو الذي كون نفسية جهيمان، وجعله لا يدين بالولاء للنظام القائم في فتراته المبكرة، خصوصاً أنّ والد جهيمان صديق حميم لسلطان بن بجاد، ومن الذين نصحوه بعدم الاستسلام؛ للملك عبد العزيز».

نشأة العتيبي كانت سبباً في اختيار الاسم، الذي أعاد ملامح جماعة الإخوان مرة أخرى إلى سطح المشهد، والذي برزت صورته بشكل أكبر أثناء حصار مكة، واقتحام العتيبي وأتباعه للحرم المكّي، وادّعائه أنّ المهدي المنتظر بينهم، مطالباً الناس بتقديم البيعه إليه.

سامح فايز
صحفي مصري

حزب الله الحجاز... محاولات إيران لاختراق السعودية

في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٩٦؛ انفجرت شاحنة (صهريج) مملوءة بعدة أطنان من مادة الـ «تي إن تي»، بالقرب من مجمّع أبراج الخبر، وهو مجمع سكني للقوات الجوية الأمريكية في قاعدة الظهران، ما أسفر عن مقتل ١٩ جندياً أمريكياً، وإصابة مئات آخرين، وبعد ذلك بوقت قصير؛ بدأت الحكومة السعودية بإلقاء اللوم على «حزب الله الحجاز»، بأنّه منفّذ الهجوم، وألقي القبض تقريباً على جميع من لهم علاقة، حتّى لو كانت سطحية وغير مباشرة، مع «حزب الله الحجاز».

لكن ما المعلومات المتوفرة عن هذا التنظيم الإرهابي؟!

تجمّع علماء الحجاز

في كتاب «حزب الله الحجاز - بداية ونهاية تنظيم إرهابي»، للمؤلف توبي ماثيسن، ترجمة حمد العيسي، الصادر عن دار «مدارك» في الإمارات العربية المتحدة، يقول المؤلف: «في السبعينيات تعرّفت مجموعة من الشيعة السعوديين، الذين يدرسون في النجف لدى محمد باقر الصدر، على تعاليم الخميني، وبعد الثورة

ألقت الحكومة السعودية باللوم على «حزب الله الحجاز» بأنّه منفّذ هجوم الخبر

الإيرانيـة انتقلـوا إلى قـم؛ حيـث شـكّلوا، في منتصف الثمانينيات، تجمّع علماء الحجاز، الـذي أصبح فيمـا بعـد جـزءاً مـن حـزب الله الحجـاز».

جنـاح رجـال الديـن مـن تجمّـع علمـاء الحجـاز، كان يعمـل مـن الحـوزة الحجازيـة في قـم، كمـا يشـير المؤلـف إلى ذلـك، رغـم وجـود مجتمـع شـيعي صغـير في المدينـة المنـورة، إلا أنّ مؤسسي التجمـع وحـزب الله الحجـاز، كانـوا مـن المنطقـة الشرقيـة، وفي الأسـاس مـن الأحسـاء وصفـوي وتـاروت، لكـن، ومثـل آيـة الله الخمينـي، اسـتخدموا مصطلـح «الحجـاز» لعمـوم المملكـة العربيـة السـعودية، لتقويـض شرعيـة آل سـعود.

وفي كتـاب «الحـراك الشـيعي في السـعودية - تسـييس المذهـب ومذهبـة السياسـة»، مـن تأليـف بـدر الإبراهيـم، ومحمـد الصـادق، وفي فصـل بعنـوان «حـزب الله الحجـاز»، جـاء فيـه: «عـام ١٩٧١، سـافر الشـيخ حسـين الـرضي، ومعـه السـيد هاشـم الشـخص، مـن الأحسـاء إلى مدينـة النجـف العراقيـة للدراسـة عـلى يد السـيد محمـد باقـر الصـدر، ومكثـا فيهـا عـدة سـنوات، وحـضرا دروس الخمينـي قبـل أن يُطلـب منـه مغـادرة العـراق، ويشـتد قمـع صـدام للصدريـين، مـا اسـتدعى خروجهمـا مـن العـراق إلى إيـران»، ويضيـف المؤلـف: «انتقلـت ثلـة مـن مشـايخ القطيـف والأحسـاء، ومنهـم الشـيخ عبـد الكريـم الحبيـل، والشـيخ سـعيد البحـار مـع الـراضي، والشـخص، والسـيد حسـن

«قام أحمد المغسل بعد الاتفاق مع الإيرانيين بمحاولات لاستقطاب كفاءات شيعية سعودية من مختلف القرى والمدن»

النمر، إلى مدينة قم الإيرانية، عام ١٩٨٠، لإكمال الدراسة على يد حسين منتظري، وأصبح حسين الراضي مشرفاً على الحوزة العلمية فيما يتعلق بشؤون «العلماء الحجازيين»، ويستخدم الإيرانيون عادة مسمّى «الحجاز» لتوصيف المكان الذي ينتمي إليه شيوخ البحرين والسعودية؛ وذلك لإظهار عدم اعترافهم بشرعية السلطات السياسية في البلدين، بعد ذلك بمدة ليست بالقصيرة، تشكّل «تجمّع علماء الحجاز»، وهو تجمّع يضمّ الشيوخ المقلدين للخميني، وكان هدفهم الرئيس، إضافة إلى تحصيل العلم، نشر مرجعية الخميني، بصفته فقيهاً بولاية مطلقة في منطقة القطيف والأحساء، التي كانت تدين لمرجعية النجف بالولاء.

الثورة الخمينية في إيران

وحول تأسيس ذلك الحزب الإرهابي؛ ذكرت «بوابة الحركات الإسلامية»: أنّه «وعقب قيام الثورة الخمينية في إيران وتولّيها السلطة، عام ١٩٧٩، حاول النظام الإيراني الجديد دعم حركات الاحتجاج في القطيف، عام ١٩٨١، ضدّ الحكومة

غلاف الكتاب

السعودية القائمة، في محاولة للتحريض على قيام ما يسمّى بثورة الشيعة.

وسرعان ما حدث تواصل بين إيران والقيادات الشيعية في السعودية، وعُهد إليهم بإنشاء منظّمة يكون مرشدها ومنظّرها الشيخ حسن الصفّار، وأُطلق عليها «منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية»، ليتغير الاسم بعد ذلك إلى «منظّمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية»، وتمّ اتخاذ

إيـران مركـزاً لهـا، ثـم انتقلـت بعـد فـترة إلى دمشـق، لتسـتقر مؤخـراً في لنـدن».

في النصـف الثـاني مـن ثمانينيـات القـرن المـاضي، وتحديـدًا في ١٩٨٧، تـمّ إنشـاء الجنـاح العسـكري لمنظّمـة الثـورة الإسـلامية في الجزيـرة العربيـة، واتّفـق عـلى تسـميتها «حـزب اللـه الحجـاز»، الـذي عُـدّ فيمـا بعـد مسـؤولاً عـن العمليـات الإرهابيـة في السـعودية، مـن خـلال التنسـيق مـع الحـرس الثـوري الإيـراني.

وتعـود البدايـات الأولى للحـزب؛ عندمـا قـام الحـرس الثـوري الجمهـوري الإيـراني، بـإشراف ضابـط المخابـرات الإيـراني، أحمـد شريفـي، بتجنيـد بعـض الشيعة السـعوديين الذيـن يدرسـون في «قـم» الإيرانيـة.

في ٣١ تمـوز (يوليـو) ١٩٨٧، قادت مجموعة مـن الحـرس الثـوري الإيـراني الحجـاج الإيرانيين، يرافقهـم عـدد مـن تجمـع علمـاء الحجـاز، إلى صـدام دمـوي مـع السـلطات السـعودية، بعـد أن طالـب السـعوديون الإيرانيـين بعدم التحرش بالحجـاج، عـبر رفـع الشـعارات السياسـية الـتي تفـرق ولا تجمـع؛ حيـث توقّـع الخمينيـون أنّ شـعاراتهم سـتجد نصيراً بـين الحجـاج.

أضرت تلـك الحادثـة كثـيراً بعلاقـة السـعودية مـع إيران، وبـدأ صراع علنـيّ شرس،

وفي المقابـل اسـتثمرت إيـران ملايـين مـن الـدولارات لإنفاقهـا عـلى الجماعات الشـيعية، وحـتى السـنّية المناهضـة للسـعودية والكويت والبحريـن ودول الخليـج الأخـرى.

وتـرى الباحثـة الفرنسـية لورانـس لويـر، في كتابهـا «سياسـات الشـيعة عـبر الوطنيـة»؛ أنّ «إيـران، بتأسيسـها حـزب اللـه الحجـاز، كان هدفهـا إيجـاد أداة عسـكرية خفيفـة للضغـط عـلى النظـام السـعودي، لكـن لا تريـد لهـذه الأداة أن تكـون كبـيرةً، حـتى لا تعـرض مصالـح إيـران وسياسـاتها للخطـر».

وبذلـك تكـون بدايـة التنظيـم فكريـة دعويـة لا ترتبـط بالسـلاح، ورؤوسـه معروفـة لـدى بعض سـكان المنطقـة فـترة الثمانينيات، رغـم أنّهـم كانـوا ينكـرون وجوديـة تنظيمهم، وشـيئاً فشـيئاً ظهـر لـه جنـاح عسـكري، ليبـدأ في التخطيـط لعملياتـه بعـد حـرب تحريـر الكويـت.

وتشـير «بوابـة الحـركات الإسـلامية» إلى أنّـه «في آذار (مـارس) ١٩٨٨، نفّـذ الحـزب تفجـيراً في إحـدى منشـآت شركـة صـدف البتروكيماويـة في مدينـة الجبيـل، مـن خـلال أربعـة مـن عملائـه مـن جزيـرة تـاروت، هـم: عـلي عبـد اللـه الخاتـم، وأزهـر الحجاجـي، وخالـد العلـق، ومحمـد القـاروص.

«إيران بتأسيسها حزب الله الحجاز كان هدفها إيجاد أداة عسكرية خفيفة للضغط على النظام في السعودية»

علي عبد الله الخاتم، أحد المنفذين؛ كان يعمل في شركة صدف، وسبق له القتال مع حزب الله اللبناني في لبنان، وتدرّب هناك على عمليات التفجير، وبعد تفجير صدف اكتشف حراس شركات البترول والبتروكيماويات شرق السعودية العديد من المتفجرات وفي أماكن متعددة، في معمل التكرير في رأس تنورة، ورأس الجعيمة.

ولم يطُلْ الوقت حتى تمكّنت الحكومة السعودية من تفتيت خلايا متعددة لحزب الله الحجاز، واعتقلت كثيرين من أفراده، كما تمّ تنفيذ حكم الإعدام بالسيف بحقّ الأربعة المسؤولين عن تفجير شركة صدف.

بعد إعدام المتهمين؛ أصدر حزب الله الحجاز من دمشق، ومعه تجمّع علماء الحجاز، بيانيْن يسمّون فيهما منفذي عملية صدف «الشهداء»، وخرج وزير خارجية إيران آنذاك ليعلن عدم وجود علاقة لبلاده بالعملية أو منفذيها.

بداية العمليات الإرهابية

ذكر كتاب «حزب الله الحجاز - بداية ونهاية تنظيم إرهابي»؛ أنّ «حزب الله الحجاز بدأ عمليات خارجية ضدّ دبلوماسيين سعوديين، وتخلّل تفجيرات ١٩٨٩ عمليات كثيرة، وقتل ضدّ دبلوماسيين في سفارات سعودية عديدة من بانكوك إلى أنقرة».

لم يعلن الحزب مسؤوليته عن هذه العمليات، بل استخدم أسماء لمنظمات غير موجودة بالفعل، مثل: «جند الحق»، و«منظمة الحرب المقدسة»، في حين حاولت الدعاية الإيرانية الإشارة إلى أنّ هاتيْن المنظمتيْن لا علاقة لهما بحزب الله الحجاز، وأّنهما نتاج لخليط من جنسيات متعددة، من لبنان والسعودية وفلسطين.

لكنّ التحريات أثبتت أنّ العديد من منفذي العمليات خرجوا من دمشق عبر الحدود اللبنانية، ومن بيروت توجهوا لتنفيذ جرائمهم، وفي ظلّ التوتر الذي أصاب تجمعات السعوديين الشيعة في إيران، تحركت السعودية، عام ١٩٨٧، لتخفيف مواقفها ضدّ الشيعة بعد عفو ملكي سعودي، وفي المقابل بادلت بعض هذه التجمعات هذا العفو بتهدئة، تمّ

بقايا شاحنة استخدمت في تفجير أبراج الخبر في عام ١٩٩٦

اتخـاذ قرارهـا في اجتمـاع لمنظمـة الثـورة الإسـلامية في الجزيـرة العربيـة.

وتحـوّل نشـاط الحـزب إلى إصـدار النشرات والمواقـع، وانخـرط منتسبوه وأنصاره في شنّ الحمـلات الإعلاميـة ضـدّ نظـام الحكـم في السـعودية، وقـام الحـزب بإنشـاء دار نـشر وخدمـات مواقـع في دمشـق، ثـم انتقـل الموقـع الإلكـتروني وإدارتـه مـن دمشـق إلى بـيروت، وتحديـداً إلى الضاحيـة الجنوبيـة.

وبعـد حـرب الخليـج الثانيـة، وعـودة الكويـت لحكـم آل صبـاح، تنامـى الحضـور العسـكري الأمريـكي في المنطقـة، ونتيجـة خشـية الإيرانيـين مـن اسـتمرار الوجـود الأمريـكي، والـذي يمثـل إخـلالاً بالخطـط التوسـعية الإيرانيـة، لذلـك وجهـت طهـران حـزب الله الحجاز ضـدّ الأمريكيـين ومواقعهم العسـكرية في المنطقـة.

قـام أحمـد المغسـل، أحـد قيـادات الحـزب، بعـد الاتفاق مع الإيرانيـين، بمحاولات لاسـتقطاب كفـاءات شـيعية سـعودية، مـن مختلـف القـرى والمـدن شرق السـعودية.

وحينمـا واجـه صعوبـات أمنيـة كبـيرة، وكادت آمالـه تتحطـم، بسـبب رفـض الكثـير مـن الشـباب السـعودي في تلـك المناطـق الانخـراط في حـزب عنيـف التوجهـات، وجـد المغسـل ضالتـه في بعض الشـباب الذين كانوا يدرسـون في الولايـات المتحـدة، معظمهم من أعضـاء منظمـة الثـورة الإسـلامية، ممـا أوجـد خلافـاً بـين التنظيمـيْن، كمـا يعلّـق الباحـث تـوبي ماثيسـين.

وفي ٢٥ حزيـران (يونيـو) ١٩٩٦؛ حـدث تفجير أبـراج الخبر، مـن خـلال تفجير خزان كبـير مملـوء بأطنـان مـن مـادة «تي إن تي»، في شـاحنة مفخخـة جـوار مجمّـع سـكني، كان يتواجـد فيـه عسـكريون أمريكيـون مـن أفـراد سـلاح الجـو الأمريـكي، ونتـج عـن العمليـة مقتـل ١٩ أمريكيـاً، وجـرح ٣٧٢ آخريـن، وأصيـب مئـات مـن جنسـيات متعـددة، إضافـة إلى انهيـار جـزئي للمبنـى السـكني.

نوران بديع
صحفية سورية

بجرأة وثبات.. السعودية تواصل إصلاح مناهجها من تأثير الإخوان.. ما جديدها؟

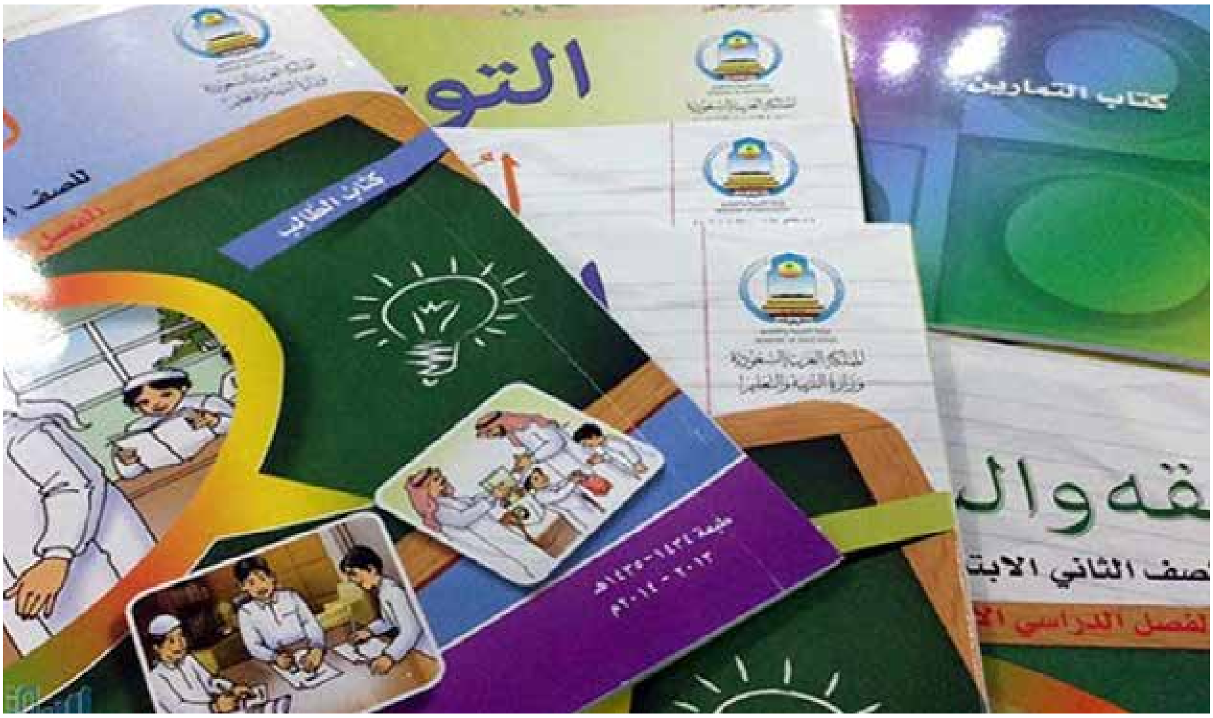

تتواصل حركة الإصلاح الشاملة التي تبنّتها المملكة العربية السعودية ضمن رؤية ٢٠٣٠، وكانت المنظومة التعليمية التي يرى الكثيرون أنّها تتضمن العديد من الشوائب، لاسيما على مستوى المناهج، ما أثر على مدى عقود في فكر الناشئة وأدى إلى بروز نزعة تميل إلى التطرف والتشدد، كانت على سُلّم أولويات القيادة السعودية؛ حيث خطت خطوات شجاعة وواثقة تجاه إصلاحها. وفي إطار سياسة تطوير المناهج، التي تتبناها الحكومة، ممثلة بوزارة التعليم، أعلنت الأخيرة في ٢٢ آب (أغسطس) ٢٠٢٢، عن دمج مواد الدراسات الإسلامية مع مادة القرآن الكريم في المرحلتين، الابتدائية والمتوسطة، تحت مسمى مادة واحدة «القرآن الكريم والدراسات الإسلامية».

تتواصل حركة الإصلاح الشاملة التي تبنّتها المملكة العربية السعودية ضمن رؤية ٢٠٣٠

وتوزعت الدراسات الاسلامية سابقاً على (٦) مواد تضم «القرآن، والتجويد، والتوحيد، والفقه، والحديث، والتفسير»، قبل أن يجري دمجها في العام ٢٠٢١ في مادة واحدة.

كما قلّصت الوزارة مجموع حصص المادة من ٣٤ حصة في المرحلة المتوسطة إلى ١٥ حصة أسبوعية، وكذلك تقليص عدد حصصها في المرحلة الابتدائية من ٣٨ حصة إلى ٣٠ حصة أسبوعية، وفق ما أوردته صحيفة «العرب» اللندنية.

كما أقرت اعتماد تدريس مادة المعرفة المالية في السنة الأولى المشتركة في نظام المسارات للمرحلة الثانوية، في حين لم يطرأ تغيير كبير سوى على بعض الحصص الدراسية الأسبوعية، حيث تمت زيادتها في بعض المواد المتعلقة بتدريس اللغة الإنجليزية، والمواد ذات الصبغة العلمية مثل: الرياضيات والعلوم.

مسار تحديث التعليم في المملكة، يأتي مع الطرح الإصلاحي لولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان الذي يريد أن يقطع مع نظرة سائدة تصنف المملكة على أنها دولة متشددة دينياً وأنها منبع الفكر المتطرف.

ويدرك ولي العهد السعودي أنّ مراجعة المنظومة التعليمية هي المدخل الأساسي، لأي إصلاح تبتغي المملكة تحقيقه ضمن رؤية ٢٠٣٠، ويرى أنّ المنظومة الحالية القائمة متأثرة بأفكار دخيلة لجماعات متطرفة، وبالتالي يجب تنقية المناهج منها.

«يدرك ولي العهد السعودي أنّ مراجعة المنظومة التعليمية هي المدخل الأساسي لأي إصلاح تبتغي المملكة تحقيقه ضمن رؤية ٢٠٣٠، ويرى أنّ المنظومة الحالية القائمة متأثرة بأفكار دخيلة لجماعات متطرفة وبالتالي يجب تنقية المناهج منها»

تحريض إخواني

وأثارت هذه التعديلات جدلاً واسعاً بين أتباع التيار الإسلامي الذين عدوا الخطوة «استهدافاً جديداً للشريعة الإسلامية»، وبين مناصري التعديلات، التي عدوها «خطوة مهمة في سياق تحديث المنظومة التعليمية».

وسبق وأن حمّل ولي العهد السعودي جماعة الإخوان المسلمين المسؤولية عن وضع مناهج متطرفة أثرت على فكر الأجيال المتعاقبة، وقال في حوار صحافي في العام ٢٠١٨ «إن المدارس السعودية تعرضت لغزو من عناصر جماعة الإخوان المسلمين، وما زال البعض منهم موجوداً، لكن، في القريب العاجل سيقضى عليهم نهائياً». وأوضح «أنّ النظام التعليمي المتشدد يعود إلى التيارات الإسلامية التي اختطفت الدولة وأنه سيعدّل قريباً».

يشهد قطاع التعليم في السعودية حراكاً إصلاحياً واسعاً يرتكز على أبعاد متنوعة ترتبط بسياساته وأنظمته وإستراتيجياته ومناهجه لمواكبة الحراك الكبير الذي تشهده البلاد في الأعوام الأخيرة

مناهج التعليم السعودية استلهمت أفكارها في البداية من المدرسة السلفية الوهابية وذلك في الخمسينات من القرن الماضي، على يد الملك الأسبق وأول وزير للتعليم في المملكة فهد بن عبدالعزيز آل سعود، وعبدالعزيز آل الشيخ، وحسن آل الشيخ (وهما حفيدا محمد بن عبدالوهاب)، قبل دخول جماعة الإخوان المسلمين إلى البلاد، حيث اخترقت عناصرها المدارس السعودية وأقحمت عليها مراجع لا تخلو من تشدد.

حراك إصلاحي واسع

ويشهد قطاع التعليم في السعودية حراكاً إصلاحياً واسعاً يرتكز على أبعاد

سبق وأن حمّل ولي العهد السعودي جماعة الإخوان المسؤولية عن وضع مناهج متطرفة أثرت على فكر الأجيال المتعاقبة

متنوعة ترتبط بسياساته وأنظمته وإستراتيجياته ومناهجه، لمواكبة الحراك الكبير الذي تشهده البلاد في الأعوام الأخيرة بمراجعة وتطوير العديد من الأنظمة، الداعمة لأهداف ومبادرات رؤيتها.

صُنّاع القرار التعليمي اليوم يبذلون جهداً في وضع سياسات تعليمية على أسس عملية واضحة الأبعاد محددة المعالم، برهن عليها اعتماد مسودة نظام موحد للتعليم العام وإضافة مواد دراسية جديدة للمرة الأولى في تاريخ السعودية مثل «الموسيقى، والفلسفة» وإعادة تأهيل الكادر التعليمي تربوياً ومهنياً، وكذلك طُرحت مسارات جديدة لطلاب الثانوية وأُضيف فصل جديد لنظام الفصول التعليمية لمواكبة أفضل التجارب العالمية.

وذكر وزير التعليم السعودي أنّ هذه التطورات ما هي إلا «المرحلة الأولى في رحلة عملية التطوير»، التي كان بين معالمها الترخيص لمدارس عالمية مثل

«الوزارة أدخلت تعديلات أكثر جرأة خلال العامين الماضيين على المناهج التعليمية، كما أعلنت عن إضافة مواد جديدة العام المقبل كالتفكير الناقد، والدفاع عن النفس، والمهارات الرقمية، وكذلك بدء تدريس اللغة الإنجليزية من الصف الأول ابتدائي»

البريطانية، ما كانت تجد بيئة ملائمة في البلاد، لأسباب ثقافية تتوجس من الآخر، في نظر العديد من المراقبين.

وقد طرحت الوزارة في ١٦ أيار (مايو) الماضي استطلاعاً حول مشروع نظام موحد للتعليم العام جاء في عشرة فصول و٨٢ مادة ليكون المرجعية التنظيمية لقطاع التعليم العام، ونقطة تحول في مسار القطاع الذي عانى خلال الفترات الماضية من حالة عدم استقرار تشريعي على مستوى الاستراتيجيات والقوانين والأنظمة والتعليمات وحتى القرارات، ويعتبر بعد إقراره أول نظام خاص للتعليم، فخلال الأعوام الماضية لا يوجد سوى لوائح متفرقة هنا وهناك وقرارات صادرة من مجلس الوزراء.

وطرحت الوزارة المشروع للمهتمين للاستطلاع والنقد، وتم التأكيد في بنوده على أحقية ومجانية التعليم ويكون من سن الـ٦ وحتى عُمر الـ١٥ إلزامياً، إذ جاءت مواد النظام موضحة وحامية لحقوق المعلم والطالب وواجبات كل منهما.

واستحدثت السعودية هذا النمط من التعاطي مع الأنظمة والقرارات في سياق نهج الإصلاحات الذي تتخذه منذ أعوام، فقبل إقرار العديد من الأنظمة يتم نشر مسودتها شبه النهائية على الجمهور، لأخذ ملاحظاتهم في الاعتبار، إلى جانب نقاشات مجلس الشورى لها.

واستبشر القطاع التعليمي بطرح نظام يحمي حقوق الجميع، وعد عماد الزهراني، الدكتور في أصول التربية، توحيد الوزارة للنظام «خطوة ايجابية خاصة إذا علمنا أنّ نظام التعليم في السعودية تحكمه وثيقة عمرها تقريباً ٥٢ سنة مع ما مر به التعليم من تطورات». وأشار، في حديثه لـ«الإندبندنت بالعربية»، إلى أنّ

صُنّاع القرار التعليمي اليوم يبذلون جهداً في وضع سياسات تعليمية على أسس عملية واضحة الأبعاد ومحددة المعالم

النظام يعتبر «بوصلة للكيان التعليمي فإذا كانت مفقودة فقد التعليم الوجهة الصحيحة له»، وطالب المعلمين والتربويين والمشرفين المهتمين بتطوير التعليم المشاركة في الاستطلاع.

ولفت إلى المادة الثامنة من النظام التي نصت على إنشاء صندوق باسم «صندوق أوقاف التعليم العام»، يخصص له ما يرد إليه من عوائد الأوقاف لمصلحة التعليم العام ويصرف منه في الوجوه التي تخدم التعليم العام «مما سيسهم في تطوير العملية التعليمية وتحسينها دية سواء في دعم الأبحاث والمدارس، فالكثير من المدارس السعودية تفتقد العديد من التجهيزات سواء المعامل والمختبرات»، معتبراً أنّ هناك عدداً من رجال الأعمال والمؤسسات تريد أن تدعم، لكن ربما القنوات النظامية والقانونية لا تسمح بدعم المدارس الحكومية، إلا أن الصندوق سيحل المشكلة ويحدث نقلة كبيرة على الأرجح».

يذكر أنّ الوزارة أدخلت تعديلات أكثر جرأة خلال العامين الماضيين على المناهج التعليمية، كما أعلنت عن إضافة مواد جديدة العام المقبل كـ«التفكير الناقد، والدفاع عن النفس، والمهارات الرقمية، وكذلك بدء تدريس اللغة الإنجليزية من الصف الأول ابتدائي»، ولم تشر الوزارة إلى أي تفاصيل عن خطط المناهج الجديدة وآلية تطبيقها في المدارس.

وبــدأت الفنــون في الســعودية تحصــد مكانتهـا كعلـوم حقيقيـة بعـد إقرارهـا مناهـج تعليميــة في المــدارس، ففــي خطــوة تعــد علامـة فارقـة جـاء التعـاون مـع وزارة الثقافـة في إدراج الفنــون في مناهــج التعليــم العــام، مثـيراً للاهتمـام.